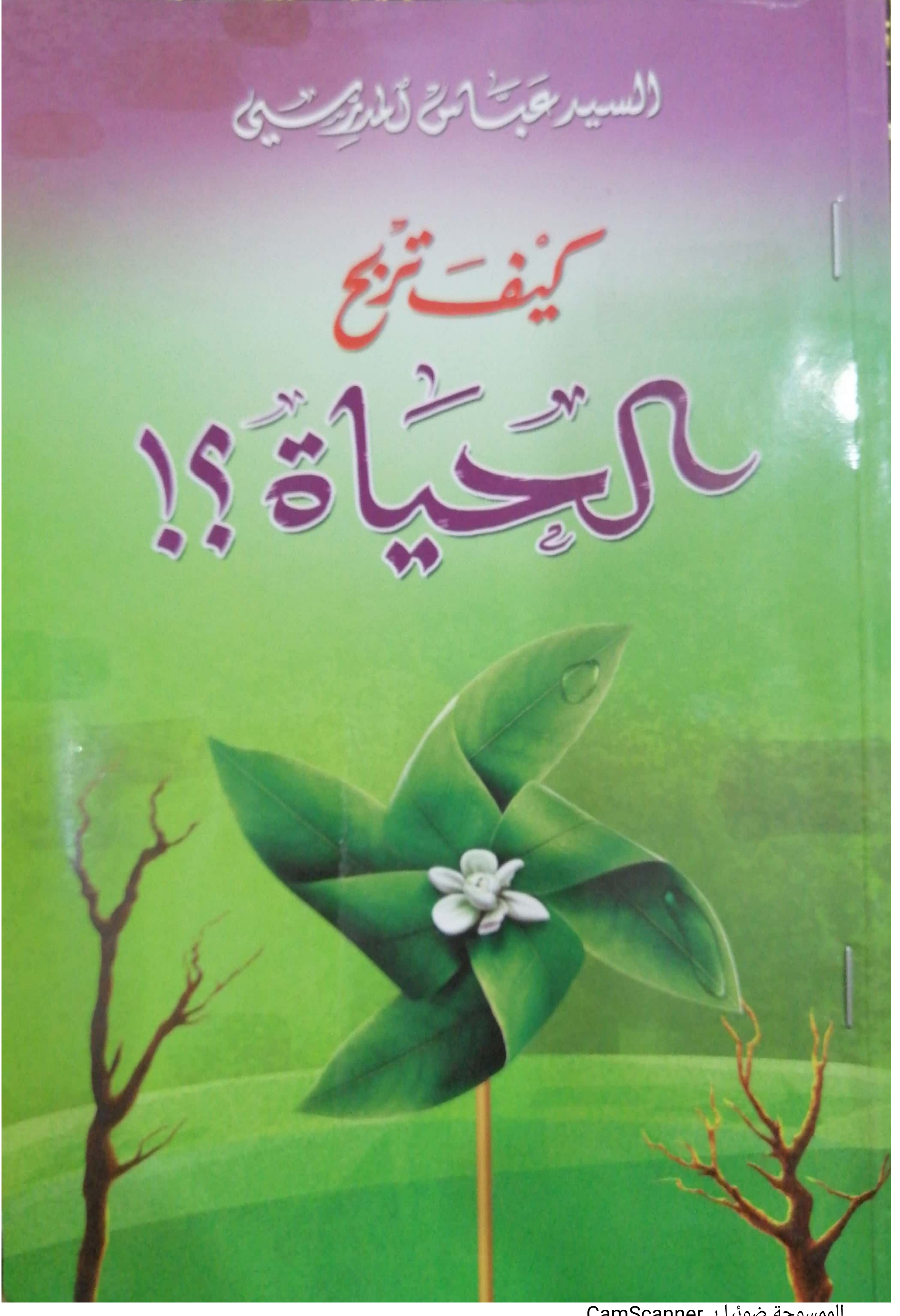
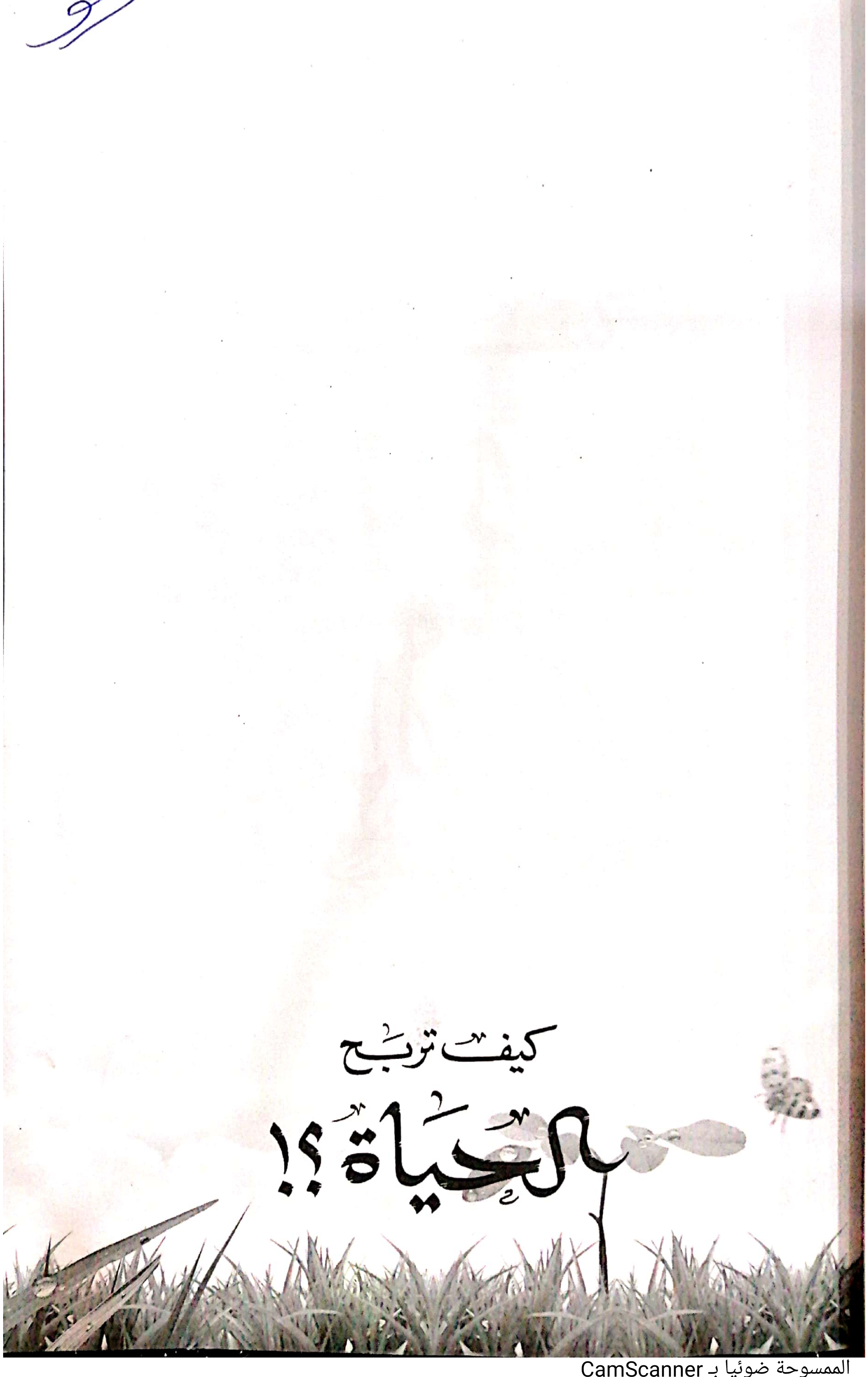
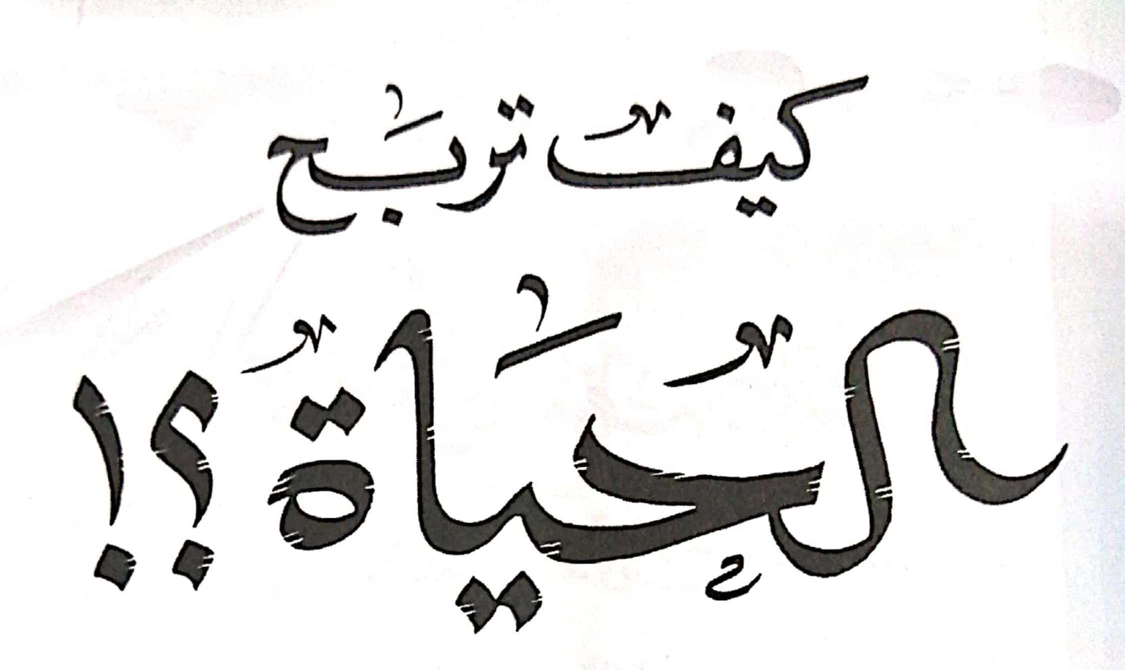

السيد عباس المدرسي
كيف تربح
الحياة؟!


كيف تربح
الحياة؟!



كيف تربح الحياة؟!

عباس المدرسي

دار القارئ

بعضها... وبقدر ما يناسب حجم هذا الكتاب الشيّق المختصر. فعلى ضوء تلك الإرشادات القيّمة حلّ أسلافنا المؤمنون مشاكلهم وربحوا أعصاباً هادئة ونفوساً مطمئنة وحياة طيّبة.

إنّ مطالعة فصل واحد من هذا الكتاب يجرك من حيث تريد أو لا تريد إلى مطالعة بقية فصوله.

إنّه كتاب سهل ومختصر، ولكنه عميق أيضاً ورصين محكم، وهكذا يكون عادة كل فكر يعتمد على كلمات الله، وحكمة الأنبياء.

إذا كنت تريد أن «لا يفوتك العمر» فطالع الفصل الأول من الكتاب!

وإذا كنت تريد أن «تستثمر قدراتك» فطالع الفصل الثاني!

وإذا كنت تريد أن «تحقق أهدافك» فطالع الفصل الثالث!

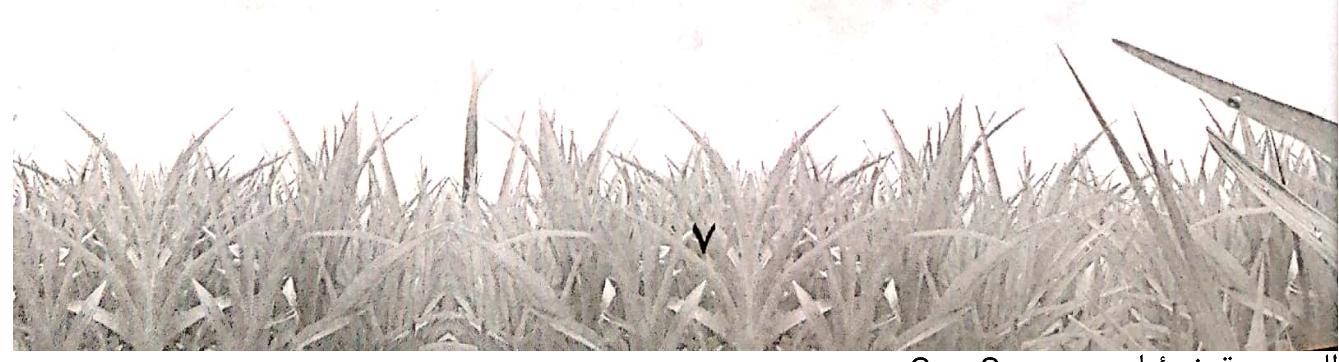
وإذا كنت تريد أن «تربح حياتك الآخرة» فطالع الفصل الرابع!

والمهمّ ليس هو المطالعة. إنما تنفيذ إرشادات الكتاب..

ولقد آثرنا نشر هذا الكتاب في هذا الوقت بالذات حيث

يشهد شبابنا في العالم الإسلامي الكبير فرصاً جديدة للعمل والانطلاق في رحاب الحياة الفسيحة.. لتحقيق مستقبل أفضل لهم. وللشعوب جميعاً والمؤمّل أن يستفيدوا منه لصالح دنياهم وآخرتهم. والله ولي التوفيق.

الناشر
١٣/ رجب/ ١٣٩٢هـ
المصادف لسنة/ ١٩٧٢م



مقدّمة الطبعة الثالثة

قبل ما يقرب من أربعين سنة وبعيد هجرتي من مدينة كربلاء المقدّسة إلى خارج العراق.. وفدت إلى الكويت، وفي جمع من الإخوة الأعزاء جرى الحديث عن أوضاع أمّتنا وعن حاجة مجتمعنا إلى توعية دينيّة وحضاريّة جديدة تقف في وجه الهجمة الثقافية للغرب على بلاد المسلمين، بعد أن تمت السيطرة عليها عسكرياً وسياسياً. وقد اختار كل واحد من الأخوة موضوعاً للكتابة حوله، وكان ذلك بداية مشروع ثقافي تم تنفيذه تحت عنوان (سلسلة نحو حضارة إسلاميّة) واخترت لنفسي موضوع هذا الكتيّب (كيف تربح الحياة)، ولم يأت الاختيار عفواً، فلقد كان يعبّر عن هواجسي الشخصية وهواجس الشباب في مثل عمري آنذاك.. ولم أكن قد بلغت العشرين من العمر.. ولقد آثرت أن أستلهم من روايات

الرسول الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ما ينير لي طريق الغد الأفضل، ولذلك فإنني لم أتجاوز في موضوعات الكتاب ما جاءت به الأحاديث المأثورة.

ولقد أحببت موضوع الكتاب جداً، مما دفعني إلى إنجازه في فترة وجيزة - وأظن - أنه.. لم يتجاوز يوماً واحداً فقط.. أما المطالعة والبحث في موضوعاته فقد سبقه بشهور.. وأظن: أنني قد وفّقت في إنشاء هذا الكتاب.. إعداداً، وكتابة، وطباعة ونشراً.. وقد انتشرت نسخه في الكثير من البلاد العربية وخاصة في العراق.. وكان له الأثر الطيب في جيل الشباب وخاصة في الوسط الجامعي.. كما أخبرني بذلك أخي المرحوم (البرقعاوي).. الذي قال: إن طالباً جامعياً عراقياً من زملائه في الدراسة كان على شفير الانتحار. فلما أعطاه هذا الكتاب وقرأه هداه الله إلى رشده وأنقذه من الهلاك - والحمد لله -.

وقد طلب مني في وقته أن أستمر في الكتابة في مثل هذه المواضيع الحياتية المهمة... غير أن التوفيق لم يحالفني آنذاك، وها قد أتيحت لي مجدداً، حيث طلب مني بعض الإخوة الأعزاء أن أجدّد طبع الكتاب بعد إعادة النظر فيه، وذلك بعد أن نفدت جميع نسخه.

وقد أعدت النظر فيه فعلاً فلم أجد فيها ما يستدعي التغيير إلا بعض العبارات فقط... ذلك أن غالب مفاهيمه مستلهمة من القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام وهي حية خالدة ما بقي الدهر..

ولا أخفي أنني كلما قرأت ما جاء في الكتاب وجدت في نفسي الحيوية والنشاط.. وشحناً معنوياً روحياً يرفعني عن متاعب الحياة اليومية إلى آفاق الحياة الروحية العالية.. ولم أشأ أن أزيد في الكتاب وأغيّر ترتيبه، ليبقى شاهداً على تاريخه، وأيام شبابي، وفترة طيبة عشتها في ربوع الكويت مع جمع من الأهل والأقرباء والأحبّة.. وها قد مرّ على ذلك الزمن ما يقارب الأربعين سنة تقلبت بي الدنيا في شتّى البلاد وشتّى الأحوال.. ولا زلت أحنّ إلى تلك الفترة الطيبة من حياتي.. والمليئة بالذكريات الطيبة. ولعل هذا الكتاب هو أحد أحلى ثمرات تلك الفترة الطيبة، وأخيراً أرجو من المولى الكبير أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع وأن ينفعني بهذا الكتاب وينفع غيري وخاصة الشباب في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه سميع مجيب.

عباس المدرّسي

١٤٣١هـ = ٢٠١٠م

الفصل الأول

لكي لا يفوتك.. العمر



لكي لا يفوتك.. العمر

لكي لا يفوتك العمر: استغلّ الفرص المتاحة

هذه أفضل قاعدة يمكن أن تجعلك ناجحاً في الحياة، ولكن ما هي الفرص التي يجب أن تستغلها؟ إن قيمة كل الفرص في الحياة تنشأ من قيمة فرصة العمر نفسه، فالذي يدرك قيمة هذه الفرصة الكبيرة، يمكن أن يستغل بقية الفرص التي تتاح له في حياته، والذي لا يدرك قيمتها، لا يمكن أن ينتفع بسائر الفرص، وإن استغلها لم تنفعه.. لأن من يضيّع الجوهرة الثمينة ماذا ينفعه الاهتمام بالحصى والتراب؟!

قيمة العمر تأتي من قيمة العمل فيه، فعمر الإنسان بما أنه يتيح له إمكانية العمل فيه، فهو ذو قدر قيمة، ولو جرّدنا العمر من هذه القيمة، أي: لو أصبح هناك إنسان لا يستطيع أن

يعمل في الحياة، فلا يستطيع أن يفكّر ويكتب أو يبني أو يزرع.. إلخ، فإنّ مثل هذا الإنسان لا قيمة لحياته بل إنّ الحياة والموت بالنسبة إليه سواء.

وقيمة الإنسان تأتي من قيمة العمل الذي يحسنه، فالذي لا يحسن عملاً لا قيمة له.

(في الحديث: عن ابن عباس أنه قال:

كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى الرّجل أعجبه، قال: له حرفة؟ فإن قيل: لا. قال: سقط من عيني...)[1].

وبالعمل تتحدد قيمة الناس ودرجاتهم في الدنيا والآخرة، فالذي يعمل أكثر وأحسن يحصل على مكاسب أكثر وأحسن وأفضل. ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۞ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۞﴾[2]. حتى الأنبياء والمرسلون تتحدد درجاتهم على أساس أعمالهم، فالرسول الأعظم ﷺ كان أشرف الأنبياء كافة، لأنه سبق جميع الناس بالاعتراف بالله والإيمان به في عالم الذرّ - كما تؤكده الروايات الصحيحة عن أهل البيت عليهم السلام، فتحددت درجته وفق عمله.

(١) البحار: ج١٣، ١١.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩، ٤٠.

والإسلام يقرن الإيمان بالعمل، فالذي يؤمن بالله ولكنه لا يعمل بالتزامات الإيمان لا يعتبر مؤمناً في منطق الإسلام، والقرآن الكريم ذكر الإيمان بالله مقترناً مع كلمة: «**العمل الصالح**» أكثر من سبعين مرة!

إن الكسل والبطالة يجلبان التعاسة والشقاء، لذلك فإن الشخص البطال أكثر الناس بغضاً عند الله.

(قال أبو جعفر عليه السلام قال موسى بن عمران عليه السلام: ... **أي عبادك أبغض إليك؟ فقال: جيفة بالليل، بطال بالنهار...**)[1].

ثم.. إنّ أي هدف في الحياة لا يمكن أن يتحقق إلا بالعمل من أجله، فلا المعجزة ولا الصدفة يمكنهما أن يحقّقا للإنسان أهدافه وأحلامه.

والمؤمنون بالله يدركون أهمية العمل في الدنيا أكثر من الملحدين، لأن الملحد مهما بالغ في تصور قيمة العمل، فإنه يربط هذه القيمة بالأغراض الدنيوية الزائلة.

أما المؤمن الذي ينظر إلى الحياة على أساس أنها نعمة إلهية كبرى، وأنها طريق السعادة الأبدية في الآخرة والدخول

(١) البحار، ج١٣، ص٣٥٤.

إلى الجنّة، يدرك أن لحظة واحدة من حياته تساوي ثواباً عظيماً لا يقدّر بثمن في الآخرة.

كيف؟

لأن من الممكن استغلال هذه اللحظة الواحدة في سبيل العمل الصالح، الذي ينتج - حسب القرآن الكريم - أجراً عظيماً في يوم القيامة، إنهم يدركون أهمية الدور الذي يلعبه هذا العمر في الآخرة. فالدنيا عند المؤمنين مزرعة الآخرة.. أو كما يقول الإمام علي عليه السلام (الدنيا سوق ربح فيه قوم وخسر آخرون).

يقول الشاعر:

أنفاس عمرك أثمان الجنان فلا

تشري بها لهباً في الحشر يشتعل

ومن هنا فإن الإسلام يؤكد على ضرورة استغلال كل لحظة من لحظات العمر.. وكلّ طاقة من طاقات الحياة.. وكلّ قدرة ونعمة تتوفر للإنسان، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

كلّ قول ليس فيه لله ذكر فلَغْو!

وكلّ صمت ليس فيه فكر فسَهْو!

وكلّ نظر ليس فيه اعتبار فَلَهْو![1].

حتى النظرة الواحدة، والسكوت القصير، لا يسمح الإسلام بصرفهما دون الاستفادة التامة منهما، إنه يطلب من الإنسان أن يشغل جميع طاقاته وإمكانياته.. ويستفيد من كل شيء في الحياة حتى النظرة واللمحة بل حتى السكوت.. ينبغي أن يصرف في التأمل والتفكر والاعتبار. وعلى هذا الأساس يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(من استوى يوماه فهو مغبون! ومن كان آخر يوميه شرّهما فهو ملعون! ومن لم يرَ الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان!

ومن كان إلى النقصان فالموت خيرٌ له من الحياة!)[2].

لقد خلق الله في هذا الكون من النعم ما يعجز العقل عن إحصائها ثم يسرّ الاستفادة منها لجميع الناس.

لماذا؟ هل فعل ذلك عبثاً ولغواً؟ سبحان الله.. إنما فعل ذلك من أجل أن يستغل الإنسان تلك المنافع والنعم ويستفيد منها في الحياة.

---

(١) بحار، ج٧٤، ص ٤٢٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٦، ص ٩٤.

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(١).

إذن: فالذي لا يعمل في هذه الحياة، ولا يحاول استغلال ما في الكون من نعم ومنافع، أو ما في نفسه من مواهب وطاقات، هذا الإنسان الكسول لا يخسر إلا نفسه.

وعندما يموت ويخرج من هذه الدنيا يتحسر على تفريطه في الحياة، ولكن ما فائدة الحسرة عندئذ إذا كان قد أصبح عاجزاً عن العمل؟

يقول الإمام علي عليه السلام:

(... اليوم (أي الدنيا) عملٌ ولا حساب، وغداً (أي الآخرة) حساب ولا عمل...)(٢).

* * *

وعلى المرء أن يعرف أن مواهب الله له زائلة غير باقية..

وإن كل ما في الدنيا من ملذات ونعيم هي الأخرى زائلة..

فلا الحياة باقية لك.. ولا أنت بخالد فيها..

(١) سورة لقمان، الآية ٢٠.
(٢) البحار، ج٣٢، ص٣٥٤، باب ١٠.

بل كل شيء فيها يمر مرّ السحاب فمن لم يستغلها الآن.. لم ترجع إليه غداً.

* * *

ولأن الدنيا زائلة فإن الفرص المتاحة فيها هي الأخرى زائلة، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(الفرص تمر مر السحاب فانتهزوا الفرص الخير)[(١)].

ويقول عليه السلام:

(الفرص سريعة الفوت بطيئة العود)[(٢)].

وعلى هذا الأساس يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

(ومن فتح له باب خير فلينتهزه فإنه لا يدري متى يُغلق عليه)[(٣)].

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً:

(إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها)[(٤)].

ومن الضروري التعجيل في استغلال الفرص، لأن هناك

---

(١) مستدرك وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٤٢، الباب ٩٠.
(٢) البحار، ج٧٥، ص ١١٣، باب١٩.
(٣) مستدرك وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٤٠، باب٩٠.
(٤) البحار، ج٦٨، ص٢٢١، باب ٦٦.

بعض الفرص القصيرة، التي قد تحمل مفتاح نجاح العمر كله، وتمر بسرعة هائلة: ثمّ لا تعود مرة أخرى..

سُئل الإمام الهادي عليه السلام ما هو الحزم؟ فقال: (هو أن تنتهز فرصتك، وتعاجل ما أمكنك!).

والذي يُضيع الفرص لا يحصد إلا الندم.

يقول الإمام علي عليه السلام:

(إضاعة الفرصة غصّة!)[1].

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هي الفرص التي يجب أن يستغلها الإنسان في حياته؟

والجواب: الفرص كثيرة في الحياة، غير أن أهم الفرص تتمثل في وصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى أبي ذرWالتي يقول فيها:

يا أبا ذر.. اغتنم خمساً قبل خمس:

١ - شبابك قبل هرمك.

٢ - وصحتك قبل سقمك.

٣ - وغناك قبل فقرك.

(١) غرر الحِكَم، ص ٤٧٤.

٤ - وفراغك قبل شغلك.

٥ - وحياتك قبل موتك[١].

والواقع: أن أهم فرصة بعد فرصة الحياة هي: فرصة الشباب، وربما لذلك كانت أول ما أوصى بها النبي الأكرم ﷺ ورغم أن هذه الفرصة هي جزء من فرصة الحياة الكبرى، إلا أنّها تعتبر صفوة الفرص وأعظمها، فهي من جهة، تحتوي على كل عناصر الفرص الأخرى من الفراغ والقوة والنشاط، ومن جهة أخرى، فإن موقف الإنسان من هذه الفرصة يحدد شكل حياته في المستقبل.

ولكن: هل يعرف الناس كلهم أهمية فرصة الشباب؟ لا أظن.. بل إن القليل فقط يدركون قيمة مرحلة الشباب، أما الأكثرية فإنهم يندمون على تفريطهم وتقصيرهم فيها حين لا ينفعهم النّدم. لذلك يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(شيئان لا يعرف فضلهما إلّا من فقدهما: الشباب والعافية)[٢].

وقد يكون أكبر خطأ يرتكبه الإنسان تجاه الفرص التي

---

(١) البحار، ج٢، ص١٤٠، باب ٩٠.
(٢) غرر الحِكَم، ص ٣٢٤.

يواجهها في الحياة هو: عدم تقدير أهميتها، لأن هذا الإهمال يؤدي إلى ضياع الفرصة دون الاستفادة منها، وينشأ هذا النوع من الإهمال من نقطة تفكير خاطئة هي: التصور بأن الفرصة باقية.. إن عدم إدراك عنصر الزوال في الفرص، هو الذي يؤدي إلى التكاسل عن استغلالها.

وفرصة الشباب تنتهي، كأية فرصة أخرى في الحياة، وبما أنها تزول ببطء فإن الشاب يتصور أنه شاب دائماً، فلا يدع لنفسه مجالاً للتفكير بأنه سوف يفقد قوة الشباب وحيويته تدريجياً وينتقل بحكم الضرورة إلى مرحلة الشيخوخة، حيث لا قوة ولا حيوية ولا نشاط.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(ما أقرب الشيب إلى الشباب!).

ولكن ما أبعد الشباب عن هذه المعرفة!

والحقيقة أن الإنسان لا يدرك قيمة النعمة عندما يكون غارقاً فيها، ويدرك هذه القيمة فقط عندما يفقدها، جرّب هذه الحقيقة مع نفسك: الآن أنت صحيح تماماً، ولا تشعر بأي نوع من المرض والألم، ولكنك لا تشعر بقيمة العافية إلا بعد أن تصاب بالألم في أسنانك أو رأسك أو أي عضو من

أعضاء بدنك عندئذ فقط تدرك قيمة الصحة والعافية. كما يقول المثل (الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى).

والسؤال هو: هل هناك طريقة للشعور بقيمة النعم التي يتمتع بها الإنسان؟

الجواب: هناك طريقة بسيطة، هي أن تتأمل حالة أولئك الأشخاص الذين يفقدون هذه النعمة، فلكي تشعر بنعمة الصحة، إذهب ساعة واحدة إلى المستشفى لتعتبر من حال المرضى هناك؟ ولكي تشعر بنعمة العقل إذهب إلى مستشفى المجانين مرة واحدة.. وإذا أردت أن تعرف قيمة السمع أنظر إلى الأصم الذي لا يسمع، وقيمة البصر.. أنظر إلى حال الأعمى في المجتمع.. وهكذا سائر النعم التي تفضّل الله عليك بها، لاحظ: كيف حال من يفتقد هذه النعم؟ ولو نظرت إلى شخص لا يملك السمع ولا البصر.. لذهلت من عظمة هاتين النعمتين فالإنسان بدونهما قطعة من اللحم المتحرك ولكن من دون أي تفاعل مع ما حوله من حياة.

وهكذا بالنسبة لنعمة الشباب، لكي تدرك قيمة هذه النعمة، أنظر إلى ذلك الشيخ الهرم الذي يشكو من الضعف.. وانهيار القوى.. ثم قل من أعماق قلبك: الحمد

لله رب العالمين! ثم قم سريعاً واستغلّ طاقات الشباب فيما ينفع ويبقى ويستمر.

ولكي يقدّر الإنسان فرصة الشباب، عليه أن يضع الحقائق التالية: أمام عينيه دائماً. والأفضل أن يكتبها في لوحة كبيرة وينظر إليها كل يوم.

١ - انتبه لقد مرّت مرحلة الطفولة، وها هي مرحلة الشباب أقبلت، وسوف تمرّ كما مرّت مرحلة الطفولة.

٢ - الشباب: أفضل مرحلة من مراحل العمر، وسوف تمرّ كما مرّت مرحلة الطفولة. قم الآن واستغلّ شبابك.

٣ - الشيخوخة هي المرحلة الأخيرة من عمرك اتّعظ بما سبق من تجاربك، وانتفع من تجارب غيرك، ولا تكن من الغافلين.

يقول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾(١).

على هذا الأساس ينبغي أن يقدر الإنسان فرصة الشباب

(١) سورة الروم، الآية: ٥٤.

ويستغلها، ليس فقط من أجل الدنيا وحدها، ولكن من أجل الآخرة أيضاً.

وينبغي أن نعرف أن نعمة الشباب وراءها مسؤولية ومحاسبة، فالذي يستغل هذه النعمة ويصرفها في الحرام سيعاقب أشد العقاب، كما أن من يستخدمها في سبيل الخير والصلاح يثاب أحسن ثواب، يقول الرسول الأكرم ﷺ:

(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيمَ أفناه؟ وعن شبابه فيم أبلاه!...)[1].

ففي يوم القيامة: كل العمر له حساب، ومرحلة الشباب له حساب خاص، هذا يدل على مدى أهمية هذه المرحلة!

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(كان فيما وعظ لقمان ابنه: يا بنيّ: واعلم أنك ستسأل غداً.. إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجل عن أربع:

شبابك فيما أبليته؟ وعمرك فيما أفنيته؟ ومالك مما اكتسبته؟ وفيما أنفقته؟ وعلمك ماذا عملت به؟)[2].

والذين يصرفون شبابهم في الأمور التافهة لا يدركون

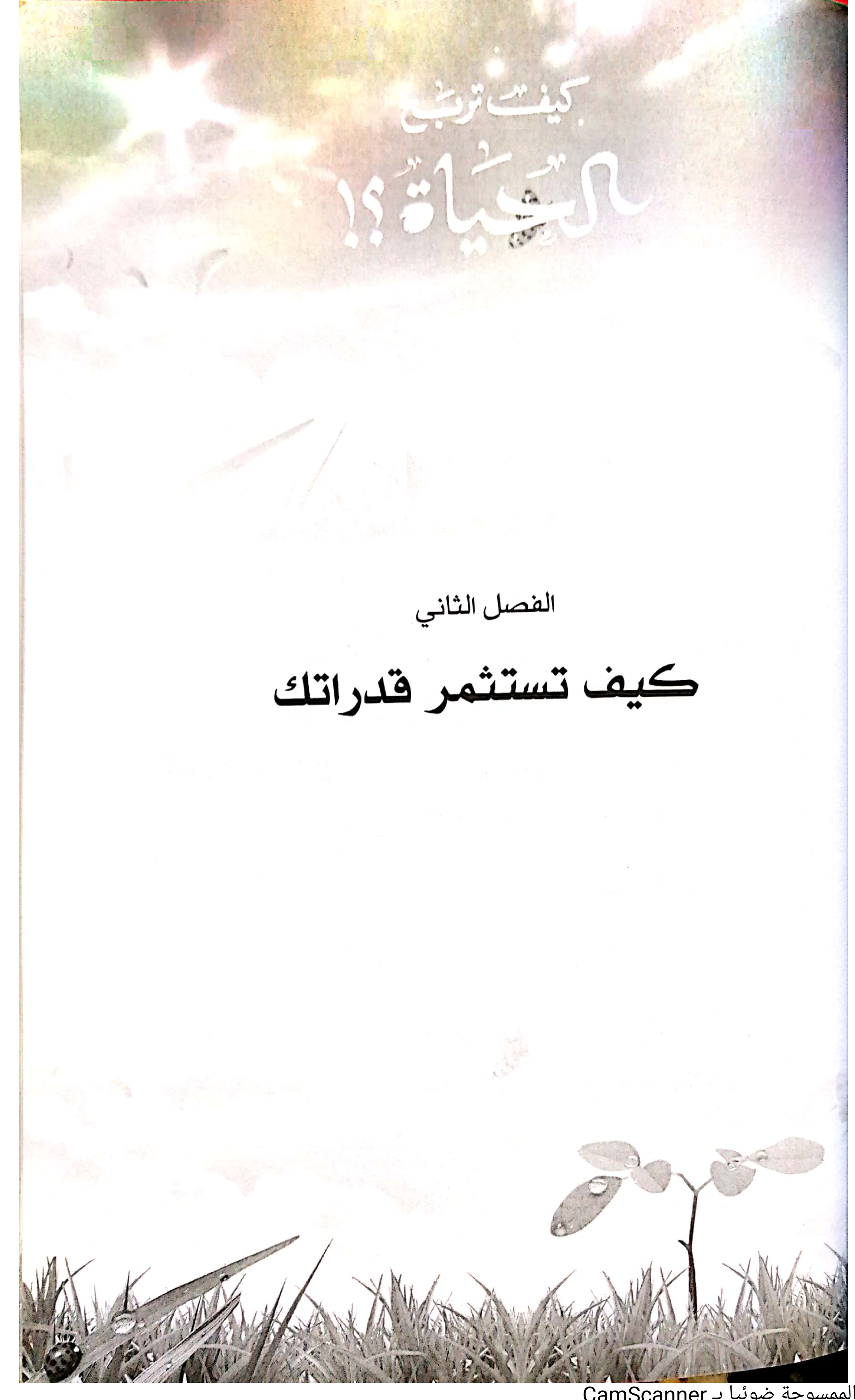
(١) البحار، ج٧، ص ٢٥٨، باب١١.
(٢) الكافي، ج٢، ص ١٣٤.

عمق الجريمة التي يرتكبونها بحق أنفسهم.. إلا بعد أن يدقّ ناقوس الشيخوخة في حياتهم.. عندئذ فقط ينتبهون على واقعهم المؤلم: ذهب الشباب إلى غير رجعة وذهبت معه القوة والنشاط.. والحيوية، وجاءت الشيخوخة التعيسة.. جاء الضعف والضجر والهوان، وعندئذ يبكون على أنفسهم حين لا ينفع البكاء.. ويندمون حين لا ينفع الندم.. أترى: هل استعاد أحد شبابه بعد الهرم؟ يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن هؤلاء المفرّطين:

(... لم يمهّدوا في سلامة الأبدان، ولم يعتبروا في آنف الأوان (أول فرصة الشباب) فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حواني الهرم...)[1].

* * *

(١) نهج البلاغة، ص١١٠.



الفصل الثاني

كيف تستثمر قدراتك

هناك ثلاث قواعد فقط تستطيع بواسطتها أن تستثمر كل طاقاتك وقدراتك.. من أجل الوصول إلى أهدافك في الحياة.

القاعدة الأولى

إعمل في اللحظة الراهنة بالعمل المناسب

اللحظة الراهنة هي فقط حياتك، أما اللحظة التي مضت فقد انتهت، واللحظة التي ستأتي من يقول إنها ستأتي؟ أو ليس الإنسان مرشحاً للموت في أية لحظة؟! وإذا أتت الفرصة المناسبة من يقول إنك لا تنشغل فيها بأمر طارئ؟

إذن: ماذا نملك؟

اللحظة الراهنة فقط!

من هنا على الإنسان أن يعمل في حدود اللحظة الراهنة، لا التي ستأتي، لأنها قد لا تأتي أبداً.. ولا اللحظة الماضية لأنها قد مضت إلى غير رجعة.

ولكي يعيش الإنسان في حدود اللحظة الراهنة، فإن عليه

أن ينقطع فوراً عن همّ الماضي والمستقبل، يجب أن يفكّر في هذه اللحظة التي بين يديه، ويغلق جميع الأبواب بوجه ما فاته وما سيأتيه، لأن كلاً من الماضي والمستقبل ليس إلا عدماً محضاً.

وهذا بالضبط ما كان يقصده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيما نسب إليه من قوله:

ما مضى فات وما يأتي فأين؟
قم واغتنم الفرصة بين العدمين

إن الاستغراق في التفكير في الماضي أو المستقبل.. وإرجاء العمل إلى الآتي، يجعلك دائماً تعيش في الخيال!

ولكي تتأكد من ذلك، لاحظ الناجحين في المجتمع، إنهم دائماً رجال العمل في الحاضر، لا الماضي ولا المستقبل، إنهم لا يؤمنون بغير الحاضر، ولو قلت لهم: يمكن القيام بهذا العمل في اليوم القادم، لأجابك فوراً: إذن دع التفكير فيه الآن، وابدأ بالعمل الذي يمكننا القيام به في الوقت الحاضر، هذا لا يعني أن لا تخطط للمستقبل.. بل يعني أن لا تنتظر المستقبل كي تعمل.

والفاشلون هم على العكس تماماً.. إنهم يقولون لك:

سوف أعمل عندما تتهيأ الفرص.. وسوف أنفق في سبيل الله بعد أن أصبح غنياً، وسوف أتزوج بعد أن أتفرغ من المشاكل.

هؤلاء المسوّفون يقولون: سوف نترك الذنوب.. وسوف نعمل الصالحات.. وسوف نقوم بواجباتنا الدينية.. ونتفرغ للعبادة.. ونهيّئ أنفسنا للموت والقيامة... إلخ.

ولكن متى؟

في المستقبل.. وهذا المستقبل متى يأتي؟ إنه لا يأتي أبداً.. لأنه ليس إلا طريقة للهروب من المسؤوليات الحاضرة. إنهم يؤجلون موعد العمل بهذه التبريرات يوماً بعد يوم، وكلّ يوم جديد ليس صالحاً للعمل عندهم.. بل الصالح هو المستقبل القادم والمستقبل الصالح عندهم لا يأتي أبداً.

أنّهم يعيشون في خيال المستقبل.. يتركون الحاضر بكل ما فيه من فرص صالحة على أمل يوم لا يعرفون عنه أي شيء.

وحجتهم في هذا الاعتماد المطلق على المستقبل هو وجود المشاكل في الحاضر، وعندما تسأل ومتى تنتهي هذه المشاكل؟ وكيف؟ لا يجدون ما يجيبونك به! إنهم لا يعرفون

الإجابة عن هذه الأسئلة ولكنهم مع ذلك يؤكدون لك أنها ستنتهي.. وإلى يوم يموتون، يحلم هؤلاء بالمستقبل الذي لا مشاكل فيه ولا أزمات: وهل خلق الله حياة بلا مشاكل وأزمات؟!

إن العيش في حدود اللحظة الراهنة هو من أبرز سمات المؤمنين بالله، إنهم لا يثقون بالحياة أبداً فهم دائماً يتوقعون الموت ولذلك فهم يعملون للآخرة على أساس أنهم يموتون غداً، وفي نفس الوقت يعملون للدنيا كأنهم يعيشون فيها أبداً فهم بذلك يطبقون وصية الإمام عليه السلام: **(إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً)**[1].

أما الفاسقون فإنهم يعملون على أساس أن الحياة خالدة، ومع أنهم يرون قافلة الموتى وهي تمضي كل يوم باتجاه المقابر ولكنهم يعملون على أساس أنهم باقون أبداً، وهذا ما يجعلهم يعيشون على الأماني والوعود الشيطانية.

﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[2]

وهؤلاء هم دائماً في شقاء.. إنهم يتحسرون على الماضي

---

(١) وسائل الشيعة، ج١٧، ص٧٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

ويبكون عليه، ويتألمون من أجل المستقبل ويقلقون عليه لأنهم يريدونه كما تشتهي أنفسهم وتريده أحلامهم.. فلا يسعدون باللحظة الراهنة.

ولكي تنجح في الحياة، لا تثق بالحياة أبداً ولا تقل: سوف أعمل ليل نهار في المستقبل وأحقق أهداف وآمالي.

لأنك لا تملك ذلك المستقبل الذي تتحدث عنه، وهذا الكلام هو منطق العاجزين، قم واستغل ساعات الليل والنهار الآن، لماذا تترك الحاضر على أمل مجيء الغائب؟

ليكن شعارك دائماً: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً**»(١).

إن كل يوم في هذه الحياة هو يوم جديد فإذا خسرت هذا اليوم.. فقد خسرته إلى الأبد ولن ينفعك أن تربح اليوم القادم لأن اليوم القادم هو يوم جديد.. وعليك أن تقوم فيه بمسؤوليات جديدة وأعمال جديدة!

في الحديث: «**ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يابن آدم أنا يوم جديد، وغداً عليك شهيد فافعل**

(١) وسائل الشيعة، ج١٧، ص٧٦.

فيّ خيراً وقل فيّ خيراً، أشهد لك به يوم القيامة فإنك لن تراني بعده أبداً...!»[1].

وقد يعترض البعض قائلاً: أليس التخطيط للمستقبل ضرورياً مثل العمل في الحاضر؟

والجواب: صحيح أن التخطيط للمستقبل أمر ضروري، ولكن تحمل الهم من أجل المستقبل والانشغال به عن تكاليف اللحظة الراهنة هو الذي يبعث الشقاء في حياة الإنسان، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«ولا تحمل على يومك همّ سنتك كفاك كل يوم ما قدّر لك فيه»[2]. بل: **«ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأتك على همّ يومك الذي قد أتاك»**[3].

هذا بالنسبة إلى المستقبل، أما بالنسبة إلى الماضي فإن التحسّر عليه هو الآخر سبب من أسباب التأخر.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(١) وسائل الشيعة، ج٧، ص٧١، باب ٢٧.
(٢) غرر الحِكَم، ص ٣٩٦.
(٣) البحار، ج١٠٠، ص٣٧، الباب٢.

«... لا تشعر قلبك الهم على ما فات فيشغلك عن الاستعداد بما هو آت!»[1].

إن التحسّر على الماضي يجعل الإنسان يتوقّف عن العمل.. إنه يجعل المرء في حالة من الحزن والتألم والضجر وكل هذه الصفات تؤدي إلى الفشل في الحياة.

إن النجاح يحتاج إلى الانطلاقة والتفاؤل، ولكي نحصل على هذه الصفات لا بد أن نقلع عن الجزع عما فاتنا في الماضي.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«... وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً...»[2].

إذن فلكي تعيش سعيداً عليك أن تعمل وتفكّر في خلال يومك الحاضر، فلا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتاك، ولا تجزع على الماضي الذي انتهى واندثر.

إن حصر اهتمامك باللحظة الراهنة ليس فقط يضاعف إنتاجك ويوفر عليك الوقت الكثير، ولكنه بالإضافة إلى ذلك

(١) غرر الحِكَم، ص ٣٢١.
(٢) نهج البلاغة، ص ٣٧٨.

يخلصك من الكثير من أنواع القلق والاضطراب، لأن الكثير من الاضطرابات النفسية تنشأ من تذكر الماضي والتحسّر عليه، فالذي خسر صفقة تجارية.. والذي مات أحد أعزائه، والذي مرت عليه فرصة ذهبية ولم يستغلها.. كل هؤلاء معرضون لأنواع مختلفة من القلق والاضطراب لأنهم يفكرون في الماضي ويتحسرون عليه، ولا يمكن أن يخلصهم من هذا الهمّ المدمّر إلا شيء واحد هو غلق أبواب التفكير على الماضي والمستقبل والعيش ضمن حدود اليوم الحاضر.

إننا نستطيع أن نتخلص من ٩٠٪ من قلقنا إذا استطعنا أن نشعر بأن كل يوم يمر علينا هو يوم جديد وأن كل لحظة في هذا اليوم إنما هي لحظة جديدة.

وإذا كان رأسمالنا في الحياة هو هذه اللحظة الراهنة فقط فعلينا أن نقوم باستغلاله فوراً، وبدون أي إبطاء، وإلا فسيضيع العمر كله يوماً بعد يوم ولحظة بعد لحظة.

ولكي تتأكد من ذلك، لاحظ كيف تضيع أوقاتك يومياً؟ مثلاً، بعد ساعة واحدة عليك أن تذهب إلى موعد خاص، ماذا تعمل خلال هذه الساعة؟ لا شيء سوى الانتظار، وهذا بالضبط يسبب لك خسارة الفرص، ساعة هنا.. وساعتان هناك وثلاث ساعات في مكان آخر.. وهكذا تمر عليك

ألوف الساعات دون أن تكون قد استفدت منها استفادة كاملة، وإذا عددت كل هذه الساعات الفارغة التي مرت عليك دون استغلال، فإنها قد تشكل ربع عمرك المفيد في الحياة.

فما هو الحل؟

الحل أن تعمل خلال هذه الساعة الفاصلة بين ما مضى وما يأتي، وكأنها الساعة الوحيدة في عمرك، إبدأ بالعمل فيها فوراً.

صادف في أحد المرات، أن كان لي موعد مع أحد الأصدقاء في يوم الخميس.. ولكنني ظننت أن الموعد هو يوم الأربعاء.. فذهبت إلى المكان المحدد في يوم الأربعاء بانتظار صاحبي، ولم أفكر في القيام بعمل ما خلال فترة الانتظار، وإنما كنت أنتظر في كل لحظة، أن يأتي صديقي بعد لحظات.. ولكن الصديق لم يأت، ومرت ثلاث ساعات دون أن يأتي الصديق، وكان من حقه أن لا يأتي.. لأن الموعد كان يوم الخميس وليس الأربعاء.. وهكذا خسرت ثلاث ساعات من عمري، واستفدت درساً لا يمكن أن أنساه من تلك الغلطة، وهي أن أعمل حتى في لحظات الانتظار بما

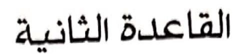
يناسب ما لدي من فرصة حتى ولو كان مطالعة مقالة قصيرة أو أي عمل مناسب آخر.

والحقيقة: أن الإنسان قد يستفيد من لحظات الفراغ القصيرة ما لا يمكن أن يستفيده في أيام طويلة، فقد يكتشف حقيقة هامة في خلال لحظة تفكير قصيرة، وقد يحصل على فكرة جيدة.. أو حكمة ثمينة من خلال لحظة عابرة، ثم ترتبط سعادته في الحياة بتلك الحكمة!

وقد لاحظت أن معظم الناس لهم تجارب خاصة في هذا المجال.. فهناك الكثير من الناس يكتشفون بعض الحقائق ليس في المختبرات والجامعات.. ولكن في الشارع.. في السيارة.. في السوق المزدحم بالناس.

لماذا؟ لأنهم يستغلون اللحظات القصيرة في التفكير ويحصلون على نتائج كبيرة، وإذا أردت أن تكون من هؤلاء الناس، عليك أن تتبع الوصية التالية: اعمل في حدود اللحظة الراهنة بالعمل المناسب.

* * *



القاعدة الثانية

ثق بنفسك

مشكلة بعض الشباب، أنهم لا يثقون بأنفسهم إلا بعد مرور فترة طويلة، يتأكدون بعدها أنهم قد أصبحوا رجالاً فعلاً. وهذا ما يجعل بعض الشباب يعيشون في مرحلة الطفولة من ناحية أفكارهم وآمالهم، بينما هم رجال كبار من ناحية العمر والزمن.

أن الثقة بالنفس مفتاح النجاح في الحياة، فالذي يثق بنفسه يستطيع أن يصنع كل شيء في الحياة، والذي لا يثق بنفسه لا يقدر على أي شيء على الإطلاق.

إقرأ تاريخ الناجحين تجد أنهم كانوا على درجة عالية من الثقة بالنفس.. عكس الفاشلين.

وبإمكانك أن تجرّب نفسك شخصياً، فأنت تشعر بقدرة خارقة عندما تعطي الثقة لنفسك، وبذلك تستطيع أن تحقق

آمالك وأهدافك، بينما تفشل في القيام بعمل بسيط عندما تفقد الثقة بنفسك.

ما هي الثقة بالنفس؟

وكيف تمنح المرء قدرة خارقة على تحقيق آماله؟ إن تحقيق أي عمل في الحياة بحاجة إلى شيئين:

١ - القدرة النفسية.

٢ - القدرة المادية.

والقدرة النفسية لها أهمية كبيرة، لأنها تحرّك القوة المادية وتنقل الفكرة من مرحلة الأمل إلى مرحلة الواقع.

من هنا.. فإن ضعف الثقة بالنفس يؤثر على هذه القدرة النفسية تجعله ضعيف الهمة والعزم والإقدام.

إن تحقيق الأعمال بحاجة إلى إعداد نفسي، بقدر ما هي بحاجة إلى إعداد مادي، أي أنه يجب أن يكون إزاء أي عمل، ثقة بالقدرة على تحقيقه بنفس المستوى.

ولكن ما هي الطريقة الفضلى لتحقيق الثقة بالنفس؟

أفضل طريقة للثقة بالنفس هي:

أن تشعر بالمسؤولية في الحياة، ويجب أن توحي إلى

نفسك بهذه الحقيقة فور الخروج من مرحلة الطفولة التي تنتهي عند الاحتلام. (في سن الخامسة عشرة أو أقل منه حسب اختلاف الأمزجة والأشخاص).

تصور أنك رجل مستقل ومسؤول حتى لو كنت تعيش في ظل الأبوين. بل يجب عليك أن تتصرف وكأنك تعيش وحدك في الحياة.

في الحديث:

(قال سألت الإمام عليه السلام عن اليتيم متى ينقطع يتمه؟ فقال إذا احتلم، وعرف الأخذ والعطا)[1].

فعندما يصل عمر المرء إلى سن الخامسة عشر، يجب أن يقوم بكل المسؤوليات الدينية والاجتماعية في الحياة، فأنت رجل كامل عندما يصل عمرك إلى هذا الحد، وإذا وصلت إلى الثامنة عشر ولم تبدأ باستغلال شبابك فأنت مسؤول عند الله عن هذا التقصير.

في تفسير الآية الكريمة: ﴿... أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ...﴾[2].

(١) البحار، ج١٠٠، ص١٦١، باب١.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «توبيخ إبن ثمان عشرة سنة»[1].

بعض الشباب يتصور أنه لا يزال طفلاً يحتاج إلى الرعاية رغم أن عمره يتجاوز العشرين عاماً، ولذلك فإن آماله وأحلامه وأفكاره كلها تتصف بصفة: الطفولية، وهو غالباً لا يثق بنفسه.. ولا يظن أن بإمكانه القيام بأعمال كبيرة، فعندما تضع أمامه مشروعاً كبيراً يقول لك بدهشة: أنا أقوم بهذا العمل!!

نعم: ولم لا؟

إن على المرء لكي ينجح، أن يصدق بأنه قد أصبح رجلاً، عليه جميع الواجبات وكافة المسؤوليات، منذ أن يدخل في سن السادسة عشر، بل وقبل ذلك لو احتلم.

إن على المرء أن لا يتصور أنه صغير، وغير قادر على تحمل المسؤولية... يجب أن يطرد مثل هذه الأفكار من ذهنه فور أن يصل إلى مرحلة الرجولة.

وإذا أصابك الضعف في أية لحظة، تذكر أن عظماء

(١) وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٠١، باب ٩٧.

التاريخ فتحوا باب العظمة، عندما حصلوا على مفتاح الثقة بالنفس.. فهذا أسامة بن زيد ترأس أكبر جيش جهّزه الرسول الأكرم ﷺ في حياته، لمحاربة أكبر وأقوى عدو للمسلمين آنذاك وهو: الروم، ولم يكن حينذاك قد تجاوز الثامنة عشرة سنة من عمره، ومصعب بن عمير أصبح سفيراً للرسول الأكرم ﷺ إلى أهل المدينة المنورة، قبل هجرته إليها، ولم يكن قد تجاوز العشرين سنة من عمره وكم في تاريخ الإسلام من أمثلة باهرة، وكل عظماء التاريخ حققوا العظمة عن طريق الثقة بالنفس.

هل عظماء التاريخ كانوا يملكون عقلاً أكبر؟ أو طاقات أوفر؟ أو أموالاً أكثر؟

أبداً... إنما كانت لهم ثقة أكبر بالنفس!

إذن: فلا داعي للشعور بالضعف، طالما أننا نملك مثلما يملك العظماء من طاقات نفسية وقدرات مادية.

فلكي تثق بنفسك ضع أمامك الحقائق التالية:

١ - أنت رجل مسؤول عن تصرفاتك أمام الله وأمام المجتمع، وقادر على تحمّل كل المسؤوليات والواجبات.

٢ - الثقة بالنفس طريق الوصول إلى العظمة، والعظماء ما كانوا يملكون طاقات أكثر، إنما كانوا يملكون ثقة أكبر بالنفس.



القاعدة الثالثة

تجنب عوامل الفشل

هل تعرف كيف تفسد حياتك، وتجلب لنفسك الفشل والشقاء؟ هناك أربعة أشياء فقط يمكنها أن تدمر حياتك تدميراً كاملاً، هي: اليأس، والضجر، والكسل، والقلق.

حارب اليأس وتوكّل على الله...

أما اليأس، فتتلخص مهمته في شيء واحد فقط، هو إغلاق جميع أبواب التفكير والعمل في وجه الإنسان، إنه تماماً كالقنبلة الذرية، تقضي على جميع طاقاتك وقدراتك في لحظات اليأس صفة تنشأ من الضعف البشري أمام قوى الكون والمجتمع.. وعلاجه الارتباط بالله القوي العزيز.

يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾(١).

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٩.

وليس هناك شيء أكثر ضرراً على المرء من اليأس، وكل من يعمل في الحياة، لا ينتج إلا إذا كان متفائلاً، فإذا أصابه اليأس تعطل كل نشاطه وإنتاجه.

والمرء عادة سريع اليأس، فمجرد فشل بسيط يكفي لكي يثنيه عن عزمه، ويدخل اليأس إلى قلبه.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾(١).

وهناك طريقة واحدة للتخلص من اليأس، هي التوكل على الله سبحانه. هل جرّبت كيف يمنحك التوكل على الله القدرة على تخطي أكبر المشاكل والأزمات؟

إن المؤمنين هم دائماً ينتظرون رحمة الله، ولا يمكن لأية مشكلة في العالم أن تبدد عندهم هذا الرجاء، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(٢).

إنهم دائماً يجدون رحمة الله قريبة منهم، عكس الكافرين والملحدين الذين لا يرجون رحمة الله لا في الدنيا ولا في

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

الآخرة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

إن المؤمنين لا ينهزمون أمام المشاكل والأزمات مهما كانت كبيرة وشديدة، إنهم يتعرضون لمختلف أنواع الضغط والكبت والاضطهاد، وقد يتأثرون لفترة، ولكن سرعان ما يعودون إلى حالتهم الإيمانية، دون أن تؤثر فيهم المشاكل، تماماً كما لا يؤثر الضغط الشديد على كرة المطاط في الملعب، إلا لكي تقفز إلى مستوى أرفع، أما الكفار فهم مثل كرة الصفيح، يتفسخون عند أول ضربة عنيفة.

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

(مثل المؤمن مثل السنبلة يحرّكها الريح فتقوم مرة وتقع أخرى، ومثل الكافر مثل الأرزة لا تزال قائمة حتى تتعفر)[2].

إن مرونة المؤمنين هي التي تجعلهم يتخطون المشاكل، ويبنون حياة جديدة بعد كل سقوط.

والمؤمنون بالله على درجات، والمتفائلون في الحياة

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٣.

(٢) جامع الأخبار، ١٨٣، الفصل ١٤١.

على درجات وكلما كان إيمان الإنسان بربه أكثر كان تفاؤله أكبر.

فلكي نحصل على المزيد من الثقة بالنجاح، لا بد أن نقوي إيماننا بالله، ونعزز ثقتنا برحمته، ونرفع من مستوى رجائنا به.

من هنا كان جاء في الحديث الشريف: (**فإنّ أحب الأعمال إلى الله عَزَّ وَجَلَّ انتظار الفرج**)[1].

لماذا؟

لأن الإيمان بوصول الفرج، يجعل الإنسان في حالة التفاؤل المستمر ويسهل عليه تحمل الصعاب مثل جندي محاصر يعلم يقيناً أن المدد والنجدة في الطريق إليه.. فإنه سيستبسل في الدفاع عن نفسه وموقعه، حتى يأتيه المدد المأمول.

حقاً إن اليأس لا مبرر له في عالم يسيره الله العليم الحكيم، ذلك أن اليأس هو موقف يتخذه الكافر إزاء ما يظن أنه حتمي وثابت، ولا شيء في هذا الكون حتمي بالنسبة

(١) البحار: ج ٥٢. ح ١٢٣. باب ٢٢.

لقدرة الله، وما دام المؤمن يثق بقدرة الله، فإنه يعتمد عليه في كل الأحوال، فلا داعي لليأس. . . ولا معنى للاستسلام له.

يقول تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(١).

فإذا كانت القدرة كلها بيد الله، فلماذا لا نتوكل عليه؟

وإذا كان التوكل على الله يكفي لتحقيق أهدافنا، فلماذا لا نرجو رحمة الله؟

وإذا كانت رحمة الله قريبة من المحسنين فلماذا نيأس؟

وإذا كان اليأس من خصائص الكافرين، فلماذا نستسلم له ونحن من المؤمنين؟

إذن: لنكن مؤمنين بالله حقاً ولنثق بقدرته وقوته، ولنتحمل مسؤولياتنا بقلب متفائل بالنجاح، ولنستعن على ضعفنا الذاتي بقدرة الإيمان بالله والثقة به والتوكل عليه. يقول الله ﷻ: عن أهمّ ما يميز المؤمنين الفائزين: الصبر والتوكل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۞ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞﴾(٢).

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

ولكي نزداد إيماناً بالله وثقة بالنجاح، لا بد أن نواصل العمل ونستمر في النشاط، ذلك أن من خصائص العمل أن يصطدم بعقبات فيفشل مرة، ويتلقى تسهيلات فينجح أخرى. ولا بد من الاستمرار كي لا تفوتنا فرص الله التي يوفرها لعباده.

وهذه طبيعة الحياة.. وعندما ندرك هذه الحقيقة لا ننهار أمام المشاكل، وإنما نصبر عليها فترة من الزمن، ثم نواصل حتى نقطف ثمار النجاح في نهاية المطاف.

ومن هنا كان المؤمنون العاملون أكثر ثقة بالله.. وأكثر رجاء لرحمة الله، لأنهم فعلاً يلمسون رحمة الله في لحظات الشدة والأزمة، فيتعودون على الصبر وانتظار الفرج، ويواصلون العمل والجهود في سبيل الوصول إلى أهدافهم العالية.

فلكي نكون متفائلين ونتخطى جميع المشاكل والأزمات، لا بد أن:

١ - نعمّق الإيمان بالله.

٢ - ونتوكّل على الله القويّ العزيز.

* * *

«قاوم الضجر...»

«.. من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة»[1].

هكذا يقول الحديث الشريف.

هل جرّبت ذلك؟

بالتأكيد.. ولكن هل عرفت كل آثار الضجر، إن الكثير من القرارات الخاطئة، والظالمة في بعض الأحيان، يتحمل مسؤوليتها الضجر.. وقد يؤدي الضجر بالإنسان إلى أن يتخذ بعض المواقف المضرة بنفسه جداً وقد تسبب له الكثير من المشاكل المستعصية.

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

إن ضجرت لم تصبر على حق[2].

والحياة بحاجة إلى الصبر.. الصبر على المشاكل والأزمات. والصبر على التحديات والتعديات، فإذا جاء الضجر رحل الصبر.. وإذا رحل الصبر جاءت المشاكل بحجم الجبال.

(١) وسائل الشيعة، ج١٦، ص٢٢، باب ٦٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص ٣٥٢.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة[1].

ولا شك أن الإنسان حينئذ لا يستطيع أن يقوم بواجباته، ولا يستطيع أن يتخذ مواقف صائبة، ولا يقدر على تحمل الحق أبداً.

فما هي الطريقة للتخلص من الضجر؟

هناك طريقة واحدة فقط، هي أن تحارب الضجر في نفسك، أن لا تستسلم له.

تذكر دائماً المفاسد التي تترتب على الضجر.. قل لنفسك دائماً لا تضجر.. لا تتبرم.. كن على ثقة أن الأمور لا تبقى على حالة واحدة. أشغل نفسك بالعمل، لا تقعد عن أداء واجباتك اليومية، غيّر محيط عملك، غير ظروفك، واستمر في العمل.

* * *

(١) وسائل الشيعة، ج١٦، ص ٢٢، باب ٦٦.

«وحارب الكسل»

الكسل: هذا ما يصبو إليه بعض الغافلين.. فلا عمل، ولا جهد ولا تعب، هكذا يفسر الراحة بعض الناس.

هل هذا صحيح؟

كلا.. إن الكسل نقيض الراحة تماماً، بل العمل والنشاط هو الذي يكسب النفس الرضى والراحة، أما الخمود والكسل فيكسبانه الانطواء والكآبة. والنتيجة هي الشقاء.

لكي تتأكد من ذلك، لاحظ الأشقياء في المجتمع.. إنهم دائماً من طبقة الكسولين.

إن الكسل يودي إلى شيئين:

الأول: تضييع الحقوق، وهذا أمر طبيعي، لأن القيام بالواجبات والمسؤوليات يحتاج إلى عمل ونشاط ومثابرة.. والكسل يتناقض مع هذه الصفات تماماً.

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

إن كسلت لم تؤد حقاً[(١)].

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص ٣٥٢.

ويقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

من أطاع التواني ضيّع الحقوق[1].

الثاني: الفشل في تحقيق الآمال والأهداف، لأن الوصول إلى الأهداف لا يمكن أن يتحقق عن طريق المعجزة أو الصدفة، إنما هو بحاجة إلى عمل متواصل، والذي لا يعمل لا يصل إلى أهدافه، يقول الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[2].

يقول الإمام علي عليه السلام:

هيهات من نيل السعادة السكون إلى الهوينا والبطالة[3].

والنتيجة: هي الندم، وهي نصيب كل بطال كسول، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

من أطاع التواني أحاطت به الندامة[4].

ولأن النفس تميل إلى البطالة والكسل، وتحت الراحة

---

(١) مجموعة ورّام، ج١، ص ٥٩، باب العتاب.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.
(٣) غرر الحكم، ص ٣٢٦.
(٤) غرر الحِكَم، ص ٤٦٣.

والاستراحة فعلى الإنسان أن يذكرها باستمرار بأضرار الكسل قل لنفسك دائماً لا تكسلي ففي العمل لذة لا يحس بها إلا العاملون، بل إنه من أفضل اللذات.. والفراغ مصيدة الشيطان.

* * *

«وكافح القلق»

أخطر شيء على نفس الإنسان هو: القلق، فمعظم الأمراض التي يتعرض لها الناس في هذا العصر تنشأ من القلق.. والاضطرابات النفسية: فالأمراض النفسية، وحتى الجنون، والانتحار، والكثير من الجرائم تنشأ من القلق! وكذلك الكثير من الأمراض الجسدية مصدرها الأعصاب المتوترة والقلق المستمر.

لكي تتأكد من هذه الحقيقة، راجع الدراسات العلمية المفصّلة، والتحقيقات التي أجراها العلماء، لمعرفة الأسباب الكامنة وراء هذه المشاكل.

١ - فعن الأمراض، يصرّح «إخوان مايو» أصحاب المستشفى المعروف باسمهم في أميركا قائلاً: «... إنّ أكثر

من نصف عدد المخادع في مستشفيات أميركا، يشغلها أشخاص يشكون من اضطرابات عصبيّة لا جسمانية».

ويضيف قائلاً:

«إن الكثير من الأمراض الخطيرة تنشأ من القلق، منها عسر الهضم العصبي، وقرحة المعدة، واضطرابات القلب، والأرق، والصداع، وبعض أنواع الشلل».

أما الدكتور الكسيس كاريل فيصرح قائلاً:

«إنّ رجال الأعمال الذين لا يكافحون القلق يموتون مبكراً».

٢ - وعن الإجرام، تقول الدراسات العلمية، أنّ معظم أقسام الإجرام في العالم، سببه القلق الشديد الذي أنتجته الحضارة الغربية.

٣ - وعن الجنون تقول بعض الدراسات:

«إنّ واحداً من كل عشرين أميركياً، سوف يقضي جانباً من حياته في مصح للأمراض العقلية، ومن الحقائق المريرة، أن واحداً من كل ستة شبان تقدموا للالتحاق بالخدمة العسكرية، رُدّ على أعقابه، لأنه مريض أو ناقص العقل!».

٤ - وعن الانتحار تقول بعض التحقيقات:

«إن عدد الأميركيين الذين ينتحرون، يفوق عدد الذين يموتون بالأمراض على اختلافها».

هل عرفت ماذا يصنع القلق بالإنسان؟

إذن: عليك أن تواجه القلق بحزم ولكن كيف؟

لكي نعرف الإجابة على هذا السؤال، لا بد أن نعرف الأسباب الرئيسية للقلق، فما هي تلك الأسباب؟

أربعة أسباب فقط، تؤدي إلى معظم أنواع القلق هي:

١ - القلق من الماضي.

٢ - القلق على المستقبل.

٣ - مشاكل الحياة.

٤ - الأمراض النفسية.

قبل أن نستعرض كيفية معالجة الإسلام للقلق، الناجم عن هذه الأسباب الأربعة، نقدم ملاحظتين:

الملاحظة الأولى: أن القلق صفة طبيعية لنفس الإنسان، وتنشأ هذه الصفة، من صفة الضعف الذاتي الذي يتسم به كل إنسان في الحياة، ولهذا السبب: فليس هناك شخص واحد

في هذا العالم، يستطيع الامتناع عن معاطاة القلق بلا معالجة، فالقلق مرض، لا يمكن التخلص منه إلا عن طريق المعالجة.

الملاحظة الثانية: كما أن أحداً في العالم لا يستطيع الامتناع عن معاطاة القلق بشكل أو آخر، كذلك ليس هناك أحد لا يستطيع التخلص من هذا المرض الفتاك.

فالإنسان أي إنسان يستطيع التغلب على القلق بواسطة الإرادة والتصميم، فاستخدام الإرادة ضد القلق كفيل بالقضاء عليه، وكلما كانت إرادة الإنسان أقوى، كانت قدرته على إنهاء القلق أكثر.

لذلك: فإن تقوية الإرادة تساهم بشكل كبير في طرد القلق من حياة الإنسان.

* * *

ولكن كيف؟

في البدء، لا بد أن نعرف أن الكثير من أنواع المعالجة، التي تقدمها بعض الدراسات الحديثة الخاصة بمعالجة مرض القلق، لا تستطيع أن تقلع جذور القلق من حياة الإنسان.

والسبب: أن الطرق التي تبينها هذه الدراسات، ليست سوى معالجة جزئية، تتناول الظواهر الثانوية للقلق، ولذلك فهي دراسات غير مجدية، ولا تنفع إلا بصور جزئية.

والمطلوب أساساً، هو المعالجة الجذرية التي تكفل إنهاء القلق، وقلعه من حياة الإنسان بصورة نهائية.

وهذا ما تتكفله المعالجة الدينية للقلق.. إنها تقضي على الجذور الرئيسية للقلق، وهذه ميزة تنفرد بها المعالجة القرآنية وحدها.

❊ ❊ ❊

ومرة أخرى نتساءل: ولكن كيف؟

إن الأسباب الرئيسية للقلق هي:

القلق من الماضي.. القلق على المستقبل.. وكلاهما ينشئان من التعلق الشديد بالدنيا وما فيها من ملذات.

ومعالجة هذا النوع من القلق، لا بد أن يتم عن طريق واحد فقط هو: (الزهد في الدنيا).

فالزاهدون في الدنيا.. والراغبون في الآخرة، هم فقط

الذين يستطيعون التخلص من ألم الحسرة على الماضي. فكيف يحصل ذلك؟

قبل أن نشرح كيف يمكن التخلص من القلق عن طريق الزهد في الدنيا.. لا بد أن نعرف أن هذه المعالجة عامة لجميع أسباب القلق النفسي.

فحسرة التاجر على خسارته المالية.. وحسرة الطالب على سقوطه في الامتحانات.. وقلق السياسي على فشله في الانتخابات.. إلخ، كل هذا الخوف يمكن معالجته عن طريق: الزهد في الدنيا، كذلك: خوف الطالب من السقوط في الامتحانات، وقلق التاجر من مستقبل صفقة تجارته واضطراب السياسي من مستقبل الانتخابات.. إلخ. كل هذا أيضاً يمكن معالجته عن طريق: الزهد في الدنيا.

وهكذا: الأمراض النفسية الناشئة من النفس الأمارة بالسوء، كالحقد والحسد وحسّ الانتقام.. إلخ، يمكن معالجتها عن طريق واحد هو الزهد في الدنيا.

ولكي نعرف هذه الطريقة السهلة السريعة في معالجة القلق، لا بد أن نتحدث حول ثلاث نقاط.

الأولى: ما معنى الزهد في الدنيا؟

الثانية: كيف يقضي الزهد على القلق؟

الثالثة: كيف يمكن الزهد في الدنيا؟

* * *

(١)

بالنسبة إلى النقطة الأولى: يظن البعض أن الزهد في الدنيا يعني الرهبنة والانعزال، ولكن هذا الاعتقاد غير صحيح، لأن الزهد يعني أن يجعل الإنسان طموحه واهتمامه كله في الآخرة، بحيث لا يهتم ولا يتأثر لو زويت عنه الدنيا. أقبلت أو أدبرت.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(ليس الزهد في الدنيا إضاعة المال، وتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا، ألا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله)[1].

وإذا لم يجعل الإنسان ثقته كلها في الدنيا، فمن الطبيعي

(١) معاني الأخبار، ج٢٥١، معنى الزهد.

أن لا يحزن على ما فاته منها مهما كان عظيماً، ولا يفرح بما أوتي منها. مهما كان كبيراً، لأن له عوضاً عما فاته وهو الله الغني القدير.. ولكن لا بد من الثقة به والاعتماد عليه.

سُئل الإمام الصادق عليه السلام: ما الزهد في الدنيا؟ فأجاب قائلاً:

قد حد الله ذلك في كتابه فقال: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[1].

* * *

(٢)

والسؤال الآن هو: كيف يقضي الزهد على القلق؟

إن الزهد في الدنيا لا يقضي فقط على القلق، وإنما يقضي على كل أنواع الهوى والشهوات، والجرائم والمعاصي... إلخ.

هل تعرف لماذا؟

(لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة). فالقاتل الذي يرتكب جريمة القتل.. والسارق الذي ينهب مال الناس.. والرجل

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

الذي يظلم من تحت يده.. كل هؤلاء يقومون بهذه الجرائم من أجل الدنيا! من أجل شهوة أو نزوة أو غطرسة..

إنهم يحاولون الوصول إلى مكسب مادي.. أو مكسب معنوي دنيوي.. ولذلك يرتكبون الجرائم.

فلو افترضنا أنهم لم يعيروا الدنيا أية أهمية، فهل كانوا سيقومون بهذه الجرائم؟

طبعاً... لا.

لأن الدنيا عندئذ لا تكون ذات قيمة عندهم.. ولذلك فإنهم لا يرتكبون الجرائم من أجلها.

هكذا بالنسبة إلى الحسرة على الماضي، والقلق على المستقبل، فإذا كانت الدنيا خسيسة في نظرهم من الأساس، لأنها زائلة ولأنها مسؤولية وتبعات ثقيلة.. إلخ. فما معنى الحسرة على ما فات منها؟ وما معنى القلق على ما سيأتي؟

تصور شخصاً يملك الملايين، هل يحزن لو ضاع منه فلس واحد.

لا شك... لا.

هكذا... أولئك الذين يزهدون في الدنيا ويرغبون في الآخرة، إن الدنيا في نظرهم بالنسبة إلى الآخرة، هي أقل من

قطرة ماء، بالنسبة إلى البحر المحيط يقول الرسول الأكرم ﷺ.

(ما الدنيا في الآخرة، إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم (البحر)، فلينظر بم يرجع!)[1].

وإذا كان الأمر كذلك، إذن: فلا معنى للحزن على ما فات من الدنيا، ولا القلق على ما سيأتي منها.

ولكن كيف يقضي الزهد في الدنيا، على القلق الناشئ من الأمراض النفسية؟

إن الحقد والحسد والحرص وما أشبه.. أسباب طبيعية وخطيرة للقلق.. والتعمق في أثر هذه الأسباب، يكشف لنا أن العامل الأساسي في هذه الأسباب هو: حب الدنيا، فالذي يحب الدنيا يحسد الآخرين، فإذا طار حب الدنيا من قلبه طار الحسد منه أيضاً، وهكذا بالنسبة إلى الحقد. وحس الانتقام وما أشبه يقول العلامة المجلسي رضي الله عنه **(تتمة هذا العمر القصير لا تسع مؤاخذة أحد على التقصير)**[2].

* * *

(١) البحار، ج٧٠، ص١٩، باب ١٢٢.
(٢) بحار الأنوار ج٧٠، ص١١٠.

(٣)

والسؤال الثالث هو: كيف يمكن الزهد في الدنيا؟ أو بعبارة أخرى: كيف نجعل أنفسنا تزهد في الدنيا؟

والجواب: هناك طريقة بسيطة، وهي أن نفكر قليلاً في الموت.. وزوال الدنيا.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(وإن كانت الدنيا زائلة، فالطمأنينة إليها لماذا؟)(١).

حقيقة لماذا نطمئن إلى الدنيا ونعمل من أجلها ليل نهار نعبدها عبادة الآلهة الخالدين؟

هل الدنيا تستحق كل هذا الاهتمام؟

وإذا استطاع الإنسان أن يحصل على أكبر قدر ممكن، من المال والجاه والسلطة، فهل ستبقى له أم هل سيبقى لها؟

الجواب... كلا.

إذن فلماذا نحزن عليها؟ ولماذا نحقد؟ ولماذا نقلق؟ ولماذا نحسد؟

---

(١) البحار، ج٧٠، ص٨٨، باب ١٢٢.

إن لحظة تفكير في زوال الدنيا.. وموت الإنسان تذيب أمامنا جبالاً من الحزن والقلق والألم.

تصور لو فقدت ابنك أو أباك أو أحد أقربائك، ما هو شعورك تجاه هذه الحادثة الأليمة؟

لا شك أنك تتأثر أشد التأثر، وقد تصاب بانهيار عصبي. وأرق في النوم.. وأخيراً قد تصاب ببعض الأمراض الجسدية والنفسية. وقد يؤدي بك ذلك إلى الموت المبكر.

ولكن شيئاً واحداً فقط يعيدك إلى حالتك الطبيعية، ألا وهو: تذكر الموت، إنّ مجرّد التفكير في أن الموت هو النهاية الحتمية لكل إنسان.. وأن زوال الدنيا أمر حتمي بالنسبة للجميع ومنهم أنت، يكفي لكي يعيد لك توازنك.

في الحديث:

ما أكثر ذكر الموت أحد إلا وزهد في الدنيا(١).

قال رسول الله ﷺ: (**... اذكروا هادم اللذات، فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: الموت، فما ذكره عبدٌ على**

(١) البحار، ح٧٩، ص ٦٨، باب ٢٠.

الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدنيا، ولا في شدة إلا اتسعت عليه...!!)[1].

أنظر إلى موقف الإمام الصادق عليه السلام عندما توفى ابنه إسماعيل:

(عندما فرغ الإمام الصادق عليه السلام من تجهيز جنازة ولده إسماعيل، جلس في جماعة من الناس وهو مطرق، ثم رفع رأسه فقال:

أيها الناس، إن هذه الدنيا دار فراق، ودار التواء لا دار استواء، على أن فراق المألوف حرقة لا تُدفع، ولوعة لا تُرد، وإنما يتفاضل الناس بحسن العزاء وصحة التفكر، فمن لم يُثكل أخاه، ثكلهُ أخوه، ومن لم يقدم ولداً كان هو المقدم دون الولد، ثم تمثل يقول أبي خراش الهذلي يرثي أخاه:

ولا تحسبي أني تناسيت عهده
ولكن صبري يا أميم جميل[2]

إذن: لكي تهون عليك المصائب.. وتقضي على

(١) وسائل الشيعة، ج٢، ص ١٠٥، باب١٧.

(٢) كمال الدين: ج١، ص ٧٣، وهناك اختلاف في مصادر أخرى فجاء بدل (التفكر) الفكرة، وبدل (أبي خراش) أبي فراش.

القلق.. وتترك ارتكاب المعاصي والجرائم، إعمل بما يقوله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: اكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عز وجل، تهون عليكم المصائب.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(... ذكر الموت يميت الشهوات في النفس، ويقطع منابت الغفلة، ويقوي القلب بمواعد الله، ويرقّق الطبع، ويكسر أعلام الهوى، ويُطفئ نار الحرص، ويحقّر الدنيا...) وهو معنى أحد مصاديق ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فكر ساعة خيرٌ من عبادة سنة[1].

وفي حوار بين النبي داود عليه السلام والنبي حزقيل عليه السلام، قال داود عليه السلام:

يا حزقيل هل هممت بخطيئة؟ قال: لا، قال: فهل دخلك العجب بما أنت فيه من عبادة الله عز وجل؟ قال: لا، قال: فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها ولذتها! فأجاب حزقيل عليه السلام: ربما عرض على قلبي.

قال: فما تصنع إذا كان كذلك؟ فقال: أدخل هذا الشعب

(١) مستدرك الوسائل، ج١، ص ١٠٥، باب ١٧.

فاعتبر بما فيه. فدخل داود عليه السلام: إلى الشعب، فإذا حديد عليه جمجمة بالية.. وعظام فانية، فإذا لوح حديد كتب عليه: **أنا فلان ملكت ألف سنة، وبنيت ألف مدينة، فكان عمري أن صار التراب فراشي، والحجارة وسادتي، والديدان والحيّات جيراني فمن زارني فلا يغترّ بالدنيا!**[1].

إذن: لكي ترتاح من القلق على الماضي والمستقبل، والأمراض النفسية الخبيثة، فكر في الموت.. وزوال الدنيا.. وأهوال القبر.. ومواقف القيامة.

* * *

والسؤال الآن هو: كيف يمكن القضاء على القلق الناشئ من المشاكل القائمة؟

الذي يموت أحد أقربائه، والذي يتعرض لخسارة مالية أو نكسة اجتماعية، والذي يصيبه مرض خطير، والذي يبتلى بالفقر والإعواز، والذي يساق إلى السجن.. إلخ، كل هؤلاء يعانون من مشاكل قائمة، وفي معظم الحالات تكون المشاكل سبباً رئيساً للقلق؟

(١) البحار ١٤، ص٢٥، باب٢.

هناك طريقة بسيطة، هو: طرح السؤال التالي: هل يمكن حلّ هذه المشكلة؟

إذا كان الجواب إيجابياً فابدأ بحل المشكلة.. ولا تسمح للقلق بأن يحتل أعصابك.

وإذا كان الجواب سلبياً.. فسلم لما لا بد منه، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(والجزع مما لا بد منه لماذا؟)

ثم يضيف قائلاً:

وأنتم أعوان الخوف على أنفسكم، فأين المهرب مما هو كائن؟[1].

يقول الله تعالى في حديث قدسي:

(... يا داود: تريد وأريد، ولا يكون إلا ما أريد...)[2].

إن الأمر الذي يريده الله سوف يتحقق، سواء سلمت له أم رفضت.

(١) مجموعة ورّام، ج٢، ص٢٨.
(٢) البحار، ج٥، ص١٠٤، باب٣.

ولكن من مصلحة الإنسان أن يسلم لإرادة الله، إن الرضى والتسليم للقضاء والقدر الإلهيين، يريح الإنسان من كثير من الاضطرابات النفسية، الناشئة من المشاكل المستعصية المعقدة.

إن الجزء من القضاء المبرم لا يرده عن الإنسان.. كما أن الرضى به لا يُنزله بالإنسان.

فلماذا نسمح بالقلق؟ هل نريد أن نجلب لأنفسنا المزيد من الشقاء والتعاسة، إذا كان الجواب: لا، إذن فكف عن القلق.

* * *

الخلاصة:

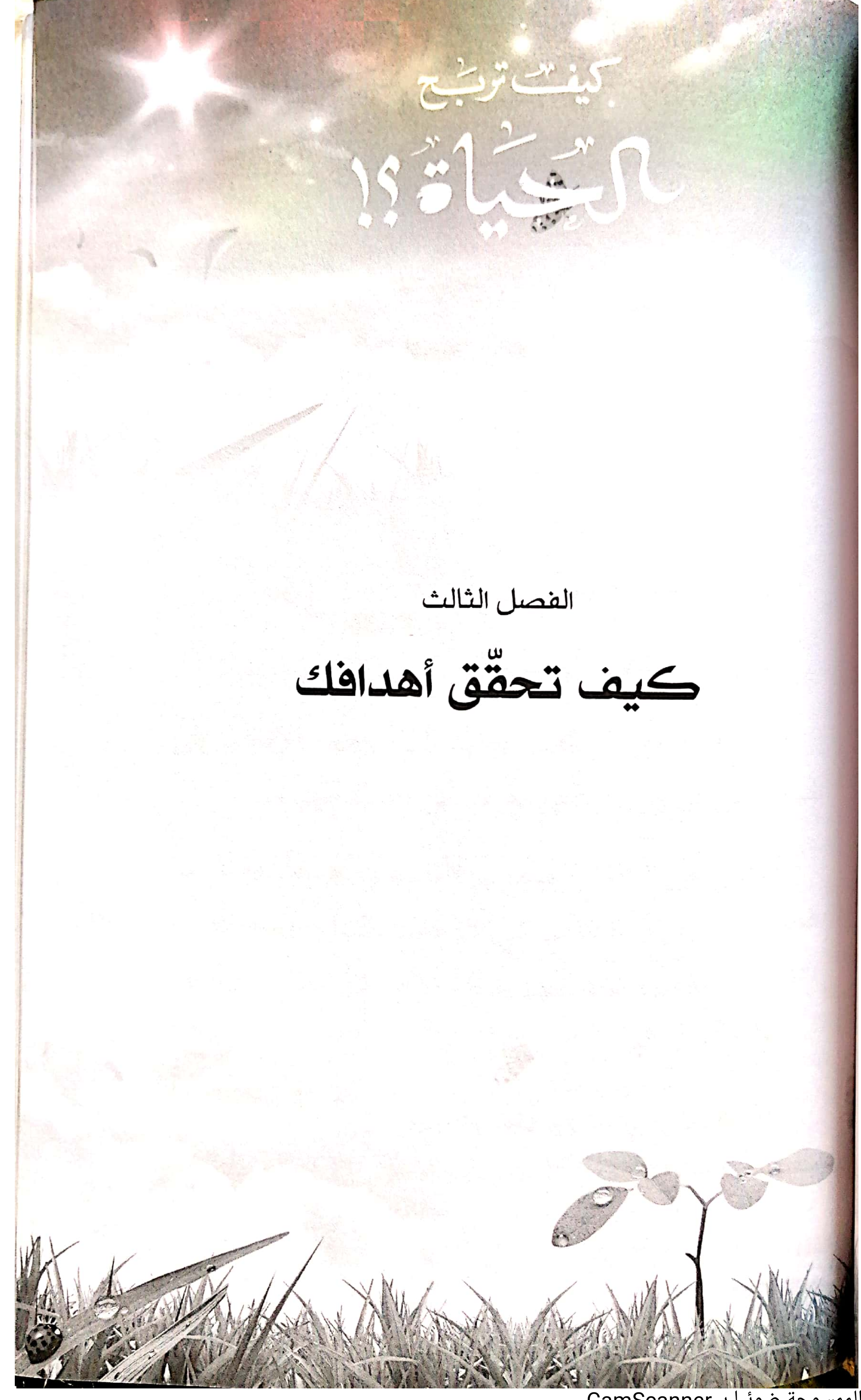
لكي تتخلص من كل أقسام القلق، إتبع ما يلي:

١ - ذكّر نفسك دائماً أن الدنيا زائلة، وأن الموت قدر مفروض عليك وعلى جميع الناس، وأن الإنسان مرشح للموت في أية لحظة، ولذلك فلا داعي للقلق من الماضي ولا على المستقبل، فالدنيا أقل قيمة من أن يتحسر عليها الإنسان.

٢ - إذا كنت قادراً على حل مشكلتك فابدأ بحلها فوراً، ولا تسمح للقلق أن يحتل تفكيرك، وإذا كنت عاجزاً عن حل المشكلة، فسلم لما لا بد منه، لأن التسليم لقضاء الله هو الخطوة الأولى نحو الشعور بالسعادة.







الفصل الثالث

كيف تحقّق أهدافك

كيف تحقّق أهدافك؟

هل أنت تعمل للهدف؟

أم تشتغل بالأمور الهامشية؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن يوجهه الإنسان إلى نفسه.. في كل يوم.. لكي يعرف أين تصبّ جهوده.

الكثير من الناس يضعون لأنفسهم أهدافاً عالية في الحياة.. ولكنهم يفشلون في الوصول إليها، وعند دراسة دقيقة لأوضاعهم، تجد أنهم عينوا الأهداف العالية، ولكنهم لم يعملوا من أجلها.

لم يفتروا عن الجهد ولم يكسلوا عن العمل.. ولكنهم شغلوا أنفسهم بالأمور الجانبية، ففاتتهم الأهداف الرئيسية الهامة.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(من اشتغل بالفضول فاته من مهمة المأمول)(١).

بل وأكثر من ذلك، قد يكون الاشتغال بالتوافه سبباً لتضييع الأعمال الواجبة، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

(من شغل نفسه بما لا يجب، ضيع من أمره ما يجب)(٢).

لا يمكن الوصول إلى الهدف إلا إذا صرف الإنسان كل جهوده في الطريق الموصل إليه، أما إذا صرف جهوده في الطرق المتعددة.. ووزع طاقاته في الاتجاهات المختلفة، فإنه لا يحصل على شيء.. كيف وهو لم يقطع إلا بعض الطريق إلى الهدف فكيف يصل إليه؟!

إذن: لكي تصل الهدف:

إعمل للهدف، ولا تشغل نفسك بالأمور الثانوية، ولا تشتغل بما لا يجب، لأن الخسارة سوف تكون ضياع الهدف وضياع الجهود معاً.

* * *

(١) غرر الحِكَم، ص ٤٧٧.
(٢) غرر الحِكَم، ص ٢٣٥.

ركّز جهودك

أن تضع الأهداف أمر سهل.

وأن تعمل بجد واجتهاد أمر سهل أيضاً.

ولكن: أن تستمر في العمل الهادف بدون توقف أمر صعب للغاية. ولأنه أمر صعب.. فإن القليل من الناس يعملون لأهدافهم باستمرار ودون توقف، إنهم يوزعون جهودهم هنا.. وهناك، ولذلك فإنهم لا يحققون أهدافهم في نهاية المطاف.

إن مشكلة العاملين في الحياة، هي أنهم يتعبون من العمل الواحد، والتعب أمر طبيعي للإنسان، ولكن الخضوع للتعب ومن ثم تغيير المسيرة هو مشكلة العاملين، والسؤال هو: هل هناك طريقة للتخلص من هذه المشكلة؟

هناك طريقة سهلة، هي أن أحترف العمل الذي أقوم به. ولكي أحترف عملي يجب أن أكرره وأركز عليه وأتحمّل كل الصعوبات التي تعترض العمل.. وأن أجعل هدفي الأقصى، دائماً نصب عيني، لكي يشحذ همتي ويذكرني بما يجب أن أعمل من أجله.

إن العمل المنتج هو العمل الذي يتصف بسمة الاستمرار.

ولأن العمل الدائم المستمر، هو وحده الذي يوصل الإنسان إلى أهدافه، فإن أفضل الأعمال عند الله هو.. العمل المثابر عليه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(... **إنّ أحب الأعمال إلى الله ما ديم عليها**...)[1].

والكثرة في العمل لا تنفع بقدر ما ينفع التركيز والمثابرة، حتى في أعمال الخير والصالحات ولذلك فإن العمل الخيري الواحد الذي يثابر عليه المرء، أفضل بكثير من مجموعة من الأعمال الخيرية المتفرقة.

(١) البحار، ج٨٤، ص٣٧.

والطريقة الوحيدة لحصر الجهود في خط واحد، هو أن يضع الهدف دائماً أمامه ولا يملّ من الاستمرار والتكرار.

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

(إني أحب أن أدوم على العمل إذا عودته نفسي، وإن فاتني بالليل قضيته بالنهار، وإن فاتني بالنهار قضيته بالليل، وإن أحب الأعمال إلى الله ما ديم عليها)[1].

إذن: لكي تنجح في عملك، ركّز جهودك على الهدف الواحد.. واستمر عليه.. ولا تشتت جهودك.

* * *

(١) البحار: ج ٨٤. ص ٣٧.

كن معتدلاً

الاعتدال ضمانة النجاح المستمر، والإفراط والتفريط مزالق للفشل والسقوط.

خذ مثلاً بدن الإنسان، إنه بحاجة إلى مقدار معين من الغذاء.. فإذا أعطيته أكثر من اللازم مرض.. وإذا أعطيته أقل من اللازم أصابه العطب.

ومثل بدن الإنسان كل شيء في الحياة، إذا انحرف إلى جانب الإفراط أحدث المشاكل، وإذا مال إلى جانب التفريط سبب الأزمات.

والعمل قدرُ الإنسان في هذه الحياة، لأنه الطريق الوحيد للعيش واللذة الكبرى في الحياة، ولكي يخدمنا العمل.. ولا يضرنا يجب أن نمارسه باعتدال.. لا إفراط ولا تفريط.

ولكي يكون العمل باعتدال لا بد أن نعمل بقدر ما نستطيع، فإذا عملنا أقل من المستطاع، كان التفريط، وإذا عملنا أكثر من المستطاع كان الإفراط، وفي الإفراط والتفريط تكمن المشاكل.

يقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾[1].

ويقول أيضاً: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[2].

يقول النبي ﷺ:

إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فإن المنبت[3] لا أرضاً قطع ولا ظهراً (ظهر الدابة) أبقى![4].

وهذه الحقيقة التي يكشفها النبي ﷺ نتيجة طبيعية للإفراط في النشاط في برهة صغيرة.. فالذين يعملون أكثر من طاقاتهم يصابون بمختلف الأمراض، وقد لا يشعر هؤلاء بهذه الأمراض في خلال العمل، ولكن نتائجه السيئة تظهر بعد فترة قصيرة أو طويلة من الزمن.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.
(٣) المنبت: أي المجهد دابته في السير.
(٤) شرح نهج البلاغة، ج٢٠، ص ٩٤.

إن نتيجة الإجهاد هو المرض، ونتيجة المرض هو القعود عن العمل، والانقطاع عن العمل يعني: ضياع الأهداف.

فهل إننا نعمل حتى نخسر الأهداف أم لكي نحققها؟

وإذا كان الخسران هو النتيجة الطبيعية للإفراط في العمل، فإنه أيضاً نتيجة طبيعية للتفريط. أي التكاسل والتواني.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

التواني مفتاح البؤس[(1)].

ولكي لا تتعرض للبؤس والخسران إعمل بوصية الإمام علي عليه السلام:

غاية الجود أن تعطي من نفسك المجهود[(2)].

لكي تعطي من نفسك المجهود حدد طاقاتك: كم ساعة تستطيع أن تعمل؟ كم ساعة تحتاج إلى النوم؟ كم ساعة تحتاج إلى الترفيه؟

---

(1) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص ٦٦. البحار: ٩٣، ص ١٥٧، باب ١٦. ذكر في مصادر متعددة بدل كلمة (التواني) كلمة (المسكنة) و(المسألة).

(2) البحار: ٧٤، ص ٤٢١، باب ١٥.

على ضوء هذا التحديد نظم أعمالك، فأنت رجل ضعيف، وإذا كان مقياسك هو: النتائج فأنت رجل قوي.

* * *

النتائج... هي المقياس

كلام الناس لا قيمة له.. لأن الناس لا يهمّهم نجاحك أو فشلك، كما لا يهمهم مصلحتك أنت. فالناس تتكلم على العاملين حسداً، أو بغضاً، أو تكبراً، أو لأي مرض آخر في أنفسهم.. فهل أوقفوا مسيرتهم من أجل كلام البطالين والحاسدين؟

إن أي عمل يقوم به الإنسان، يقابله البعض بالمدح، بينما يقابله البعض الآخر بالذّم حسب الأمزجة والمواقف، وعليك لكي تنجح أن تنظر إلى المقياس الواقعي للنجاح وهو: النتائج، يقول الرسول الأكرم ﷺ: **إحثوا في وجوه المداحين التراب**[1].

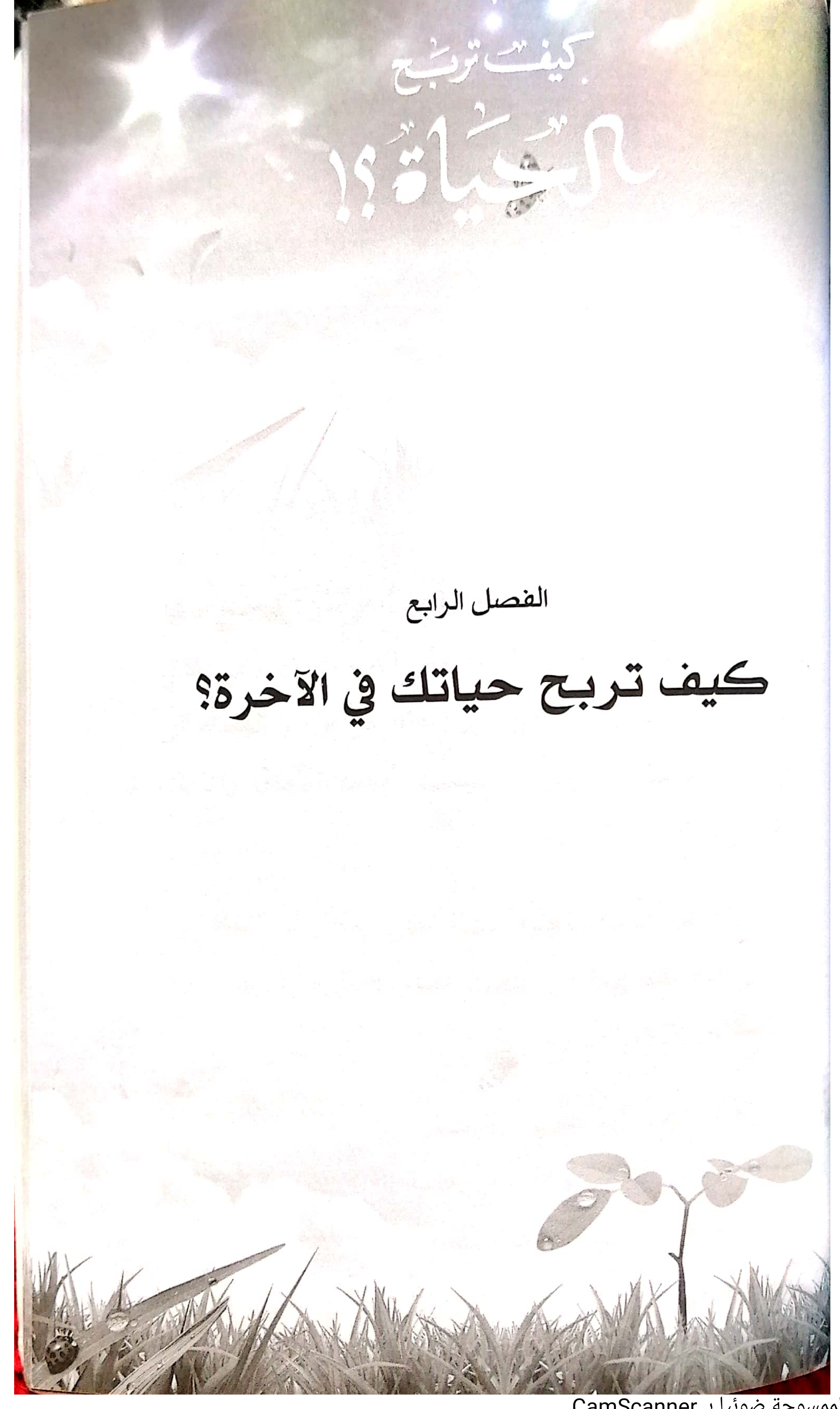
(١) البحار، ج٧٠، ص ٢٩٤، باب ١٣٤.

إن الكثير من الناس يتركون أهدافهم ومسيرتهم لمجرد أن رجلاً انتقدهم هنا . . أو اعترض عليهم شخص هناك .

إن الانهزامية أمام لسان الناس دليل على ضعف الإرادة لدى الإنسان، والذين يعرفون أهدافهم ويدركون تماماً أنها صحيحة وواقعية، ينبغي أن يغلقوا آذانهم بوجه كل ذم أو إطراء، عليهم فقط أن يلاحظوا النتائج، تماماً كما كان يفعل الأنبياء والمصلحون، إنهم كانوا على يقين راسخ بأهدافهم . . ولذلك فإنهم كانوا يواجهون استهزاء الناس وسخريتهم بالمزيد من العمل، والمزيد من النشاط، وهذا ما يجب أن يفعله العاملون الذين يرغبون في النجاح .

فلكي تنجح في عملك، عليك أن تجعل مقياسك النتائج لا كلام الناس .





الفصل الرابع

كيف تربح حياتك في الآخرة؟

الإنسان أي إنسان مخيّر بين أحد الموقفين: ترجيح الدنيا على الآخرة، أو ترجيح الآخرة على الدنيا، والمرء في مقتبل شبابه يواجه هذين الموقفين فور انتقاله من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب، حيث تنبسط أمامه الآفاق والآمال والطموحات.

والقضية ليست قضية سهلة حتى يمكن لنا اتخاذ قرار فوري بشأنها، إنما هي قضية حياة كاملة ترتبط بها سعادة الإنسان وشقاؤه الأبديان.

ولا شك أن قضية الاختيار بين الدنيا والآخرى لا تنحصر بفترة الشباب، إنما هي قضية قائمة حتى آخر لحظة من حياة الإنسان، إلا أن هذه القضية تفرض نفسها على الشباب

بشكل ملحٍّ جداً، وفي معظم الحالات يتحدد مصير الإنسان لهذه القضية في فترة الشباب بالذات.

ولكي تختار أحد الطريقين، لا بد أن تعرف: ما هي القيمة الحقيقية للآخرة، وما هي نسبة هذه القيمة إلى الدنيا؟

في البدء لابدّ أن نعلم أن الحياة الأخروية تمتاز على الحياة الدنيا بصفتين أساسيتين:

الامتياز الأول: التفوق الكمي الذي تتميز به الآخرة على الدنيا، فالحياة في الآخرة حياة أبدية خالدة، عكس الحياة الدنيا التي تزول مهما طالت.

وهذه الحقيقة لا يستطيع أن يشكك فيها أحد، إنما هي بحاجة إلى تذكير وتنبيه مستمر، ذلك أن بعض الناس ينسى هذه الحقيقة الواضحة، ويتصرف على أساس أنه خالد في الحياة الدنيا، والذين قاموا بتذكير الإنسان بهذه الحقيقة هم: الأنبياء والأئمة الأطهار وأتباعهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وهذا هو مبرر بعثتهم إلى الناس.

ولكي يتذكر الإنسان هذه الحقيقة ويستوعبها إستيعاباً كاملاً.. لابدّ أن يفتح قلبه وعقله، ليفهم ما يعنيه القرآن

الكريم بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ...﴾[1]!

ساعة من نهار فقط. إن الأيام والأسابيع والشهور والسنين كلها، في مقابل الآخرة تصبح ساعة من نهار فقط!

وفي وصف دقيق للدنيا يقول الرسول الأكرم ﷺ:

ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم[2] فلينظر بم يرجع![3].

وفي وصف آخر يقول ﷺ:

(مالي والدنيا...؟ إنما مثلي والدنيا كمثل راكب قال (من القيلولة، أي: نام قليلاً من النهار) **في ظل شجرة في يوم صائف.. ثم رحل وتركها!)**[4].

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

ألا.. إنما الدنيا كمنزل راكب
أناخ عشياً وهو في الصبح راحل

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.
(٢) اليم: البحر.
(٣) البحار، ج٧٠، ص ١١٩، باب ١٢٢، في هذا المصدر (مثل) وليس (كما).
(٤) روضة الواعظين: ج٢، ص٤٤٠.

وإذا كانت الدنيا زائلة، فلا يهم أن يكون عمر الإنسان فيها قصيراً أم طويلاً، المهم أنه ينتهي.. وعندما ينتهي عمر الإنسان، لا يشعر إلا وكأنه لم يكن إلا سحابة صيف جاءت ومرت سريعاً قال الإمام الصادق عليه السلام:

عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة، ثمان مائة وخمسون قبل أن يبعث، وألف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، ومائتي سنة في عمل السفينة وخمسمائة سنة بعدما نزل من السفينة.. ثم إن ملك الموت جاء فقال له نوح: ما حاجتك يا ملك الموت؟

قال: لأقبض روحك.

فقال عليه السلام: ألا تدعني أدخل من الشمس إلى الظل؟

قال: نعم، فتحول نوح عليه السلام ثم قال: يا ملك الموت، فكأن ما مر بي في الدنيا مثل تحولي من الشمس إلى الظل، فامض لما أمرت، فقبض روحه عليه السلام!!

هذا بالنسبة للدنيا أما بالنسبة للآخرة فذلك يوم الخلود، إما في الجنة أو في النار.

يقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾(١).

ويقول أيضاً: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾(٢).

الامتياز الثاني: التفوق الكيفي الذي تتميز به الدار الآخرة إلى جانب التفوق الكمي، فالنعيم في الدنيا يتمثل في اللذات الجسدية والنفسية، وهي لذات محدودة لا يمكن قياسها مع اللذات التي يتمتع بها المؤمنون في الجنة.

إن أحداً لا يستطيع أن يتخيل حقيقة نعيم الآخرة.. إلا بعد أن يذهب إلى هناك ويذوقه بنفسه، وربما إلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّىۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾(٣).

مثل الجنة وليس الحقيقة كلها.. لأن البشر لا يستطيع أن يتصور حقيقة الجنّة كما هي.

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٨.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٥.

هذا بالإضافة إلى أن نعيم الآخرة لا يشوبه شيء من الكدورات أبداً، عكس نعيم الدنيا الذي يمتزج بالمشاكل دائماً إلى درجة أنك لا تجد أحداً مهما توفرت له وسائل الترفيه والراحة، إلا وقد ابتلي بشيء مما يكدر عليه صفو العيش، خذ أغنى رجل في العالم.. إنه يعيش في أعلى درجات الراحة والرفاهية.. إلا أنه يعاني من مرض السكر والقلب، أو يشكو من ألم في المفاصل أو أنه عقيم لا ولد له أو أن ابنه الوحيد مدمن على المخدرات.. الخ.

وهكذا بالنسبة لجميع الناس، هناك عنصر راحة وعنصر تعب، فليس ثمة تعب دائم ولا راحة دائمة، والجميع يتساوون من هذه الناحية، إنما الاختلاف في درجات الراحة والتعب، وأنواع الراحة والتعب.

ولذلك يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الدنيا:

(.. **دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة.** ..)[1].

هذا بالنسبة إلى الدنيا، أما الآخرة فيقول الله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ *

(١) البحار، ج٧٠، ص ٨٢، باب ١٢٢.

﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾(١).

إذن: فالحياة في الآخرة تتميز على الحياة في الدنيا بشيئين:

الأول: التفوق الكمي من ناحية الزمن.

الثاني: التفوق الكيفي من ناحية درجة وكيفية النعيم.

وهذا التفوق ليس أمراً عادياً يمكن التساهل فيه. فأي قياس بين عدد من السنوات الفانية وبين الخلود الأبدي. وأي قياس بين نعيم هزيل ونعيم الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ولهذا يعبر القرآن الكريم عن الدنيا في مقابل الآخرة بالمتاع فقط يقول تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾(٢).

لتوضيح معنى: إنما الحياة الدنيا متاع يقول القرآن الكريم: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ(أي الزّراع)

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٣٤ - ٣٥.
(٢) سورة غافر، الآية: ٣٩.

نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(١).

هذه هي القيمة الكبرى لحياة الآخرة: نعيم أبدي دائم يتفوق على نعيم الدنيا بزمن لا يتناهى وبنوعية تفوق التصور.

هذا لو كان من الصالحين، أما إذا كان من الفاسقين والمجرمين فله عذاب أبدي في جهنم بنار رهيبة لا يمكن أن يتخيل أحد مبلغ آلامه.

والسؤال المطروح: ما هو الموقف الذي يفرتض أن يختاره الإنسان العاقل، ترجيح الآخرة على الدنيا أم العكس؟

لا شك أن أحداً لا يرجح الرديء على الجيد، إن الأفضل هو دائماً مقدم على غيره، وليس هناك أي عاقل يدرك أهمية الآخرة ومدى تفوقها يبيع الآخرة في مقابل دنيا زائلة.

ولكن من الذي يستوعب جيداً أهمية الآخرة؟ ليس إلا المؤمنين بالله، إنهم ينظرون إلى الدنيا من خلال منظار الآخرة، عكس الملحدين والفاسقين الذين ينظرون إلى الآخرة من خلال منظار الدنيا.. إن المؤمنين لا يرون إلا

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

الآخرة.. أما الملحدون فلا يرون إلا الدنيا، وهذا ما يجعل المؤمنين لا يعبدون إلا.. الله، بينما لا يعبد الملحدون إلا.. الدنيا!

وترجيح الآخرة على الدنيا لا يعني خسارة الدنيا، إنما ربح الدنيا والآخرة معاً. يقول تعالى:

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ...﴾[1].

* * *

ولكن كيف؟

إن الهدف الذي يسعى إليه طلاب الدنيا، هو: السعادة، والسعادة في الدنيا لا تحصل عن طريق امتلاك أكبر قدر من المال والملذات، ولا تحصل عن طريق الوصول إلى أهم مراكز الحكم والزعامة.. لأن، السعادة ليست هي امتلاك الأدوات، إنما هي إحساس داخلي بالراحة، وشعور باطني بالاطمئنان، وهذا ما لا يحصل عليه طالب الدنيا أبداً، ذلك أن طالب الدنيا لا يشبع من متاع الحياة الدنيا حتى لو حصل

(1) سورة النساء، الآية: ١٣٤.

على كل ما في هذا العالم، تصور أغنى رجل في العالم.. هل يشبع من المال؟ أبداً.. إنه يفكر في طريقة تجلب له المزيد. أليس كذلك؟

إن حب الحياة الدنيا طبيعة بشرية ولكن لا بد من لجم هذا الحب بمقدار الحاجة وإلا فلا يمكن أن تنتهي إلا عن طريق بيع الدنيا بالآخرة.. وذلك هو الخسران المبين.

ضع يدك على كل من يعبد الدينار والدرهم، تجد أنه يعمل ليل نهار ليحصل على أكبر قدر ممكن منها، ثم ينادي: هل من مزيد؟

ومثل هذا الإنسان لا يرتاح أبداً.. لا يشعر بالسعادة الحقيقية لحظة واحدة.. صحيح أنه يتمتع بالشهوات والملذات، ولكن السعادة النفسية شيء آخر لا يدركها طالب الدنيا، يقول الإمام الصادق عليه السلام:

من تعلق قلبه بالدنيا تعلق منها بثلاث خصال:

١ - همّ لا يفنى!

٢ - وأمل لا يدرك!

٣ - ورجاء لا ينال![1].

وهذه الأمور الثلاثة هي مصدر الشقاء والتعاسة، فالإنسان الذي يعيش في الدنيا مع هم لا يفنى، هل هو إنسان سعيد؟

والأمل الذي لا يدرك، والرجاء الذي لا يُنال، هل يجلبان للمرء السعادة؟

اجلس عند رجل يعبد الدنيا، تجد أنه مهموم نفسياً رغم تظاهره بالسعادة في بعض الأحيان، فهو دائماً يشكو من خسارته الصفقة الفلانية.. وفشله في المشروع الكذائي..

وهكذا فهو في حزن دائم على الماضي.. وقلق مستمر على المستقبل، إنه يضع يده على قلبه خشية فشله في المستقبل الذي لم يأت.

ويموت رجل الدنيا وهو يحمل بين جنبيه هماً عريضاً على ما فات، وأملاً طويلاً.. لم يتحقق!

قال رسول الله ﷺ:

(الرغبة في الدنيا تكثر الهم والحزن)[2].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٢٠.
(٢) البحار: ج ٧٠، ص ٩٦/باب ١٢٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم، ويذل الرقاب[1].

* * *

أما بالنسبة إلى رجل الآخرة.. فهو على عكس رجل الدنيا تماماً، لا يهتم بأي شيء فاته، سواء كان من متاع الحياة الدنيا الذي لا قيمة له عنده، أم من فرص العمل للآخرة، لأنه يفكر على أساس أن ما مضى مات وانتهى، إن رجل الآخرة عكس رجل الدنيا يرحب بالمشاكل والأزمات.. ولا يولول كما يفعل رجل الدنيا.

إن رجل الآخرة لا يبحث عن المشاكل، ولكنه في نفس الوقت لا يخاف منها ولا يخشى.. إنه يعلم أن كل مشكلة في الدنيا تقابلها حسنة في الآخرة.. وما دام أنه باع الدنيا بالآخرة فلا تحطمه الأزمات.

والمصائب التي يتعرض لها رجال الآخرة لا تستدعي الويل والثبور، أبداً، إنها بحاجة إلى الصبر والصمود فقط.

(١) البحار: ج ١٢. ص/ ٤٠/ الباب/ ٦١.

فالذي يموت ابنه.. أو يتعرض لمرض خطير.. أو يصاب بخلل في أحد أعضائه أو خسارة في ماله أو ما أشبه لا يجزع.. إذا كان من المؤمنين بالآخرة. ذلك لأن المصائب هي شهادة إيمان وتقوى، وعلو درجة عند الله عز وجل إن رجال الآخرة يفكرون على أساس أن الدنيا تغرّ... وتضر.. وتمر!

وما دام أنها تمر.. فلماذا الجزع والفزع والمصائب؟

وإذا كانت الابتلاءات تتحول إلى ثواب عظيم في الآخرة، فلماذا الخوف منها؟

إن رجل الآخرة عكس رجل الدنيا، لا يجزع لو فاته شيء من متاع الدنيا، لأنه أساساً لا يهتم بهذا المتاع.. إنه لا قيمة له في نظره لأنه قليل: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾[1].

وينتهي سريعاً: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ...﴾[2].

إن رجال الآخرة يعملون بوصية عيسى بن مريم عليه السلام، التي خاطب بها بني إسرائيل قائلاً: **يا بني إسرائيل لا تأسوا**

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٦.

على ما فاتكم من دنياكم إذا سلم دينكم، كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا سلمت دنياهم[1].

* * *

إن رجال الآخرة لا يحزنون على ما فاتهم من متاع الدنيا، ولا يفرحون بما أتاهم فيها.

لأنهم في الأساس، لا يهتمون بمتاع الحياة الدنيا حتى يفرحوا بما أتاهم منها، ويحزنوا على ما فاتهم.. ذلك أن الفرح بالشيء والحزن عليه، إنما هو نتيجة الاهتمام به، أمّا الشيء الذي لا قيمة له، فلا يهم أن يحصل عليه الإنسان أم لا؟

يقول الله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2].

إن رجل الآخرة الحقيقي، هو الذي لا يحزن على ما فاته من الدنيا.. وإن كان كبيراً ولا يفرح بما أتاه منها ولو كان عظيماً، وهو لذلك يشعر بسعادة نفسية لا يشعر بها طالب الدنيا أبداً.

---

(١) البحار، ج١٤، ص ٣٠٤، باب ٢١.
(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

إن طموح رجل الآخرة أكبر من الدنيا وما فيها، ولا يمكن أن يُشبع هذا الطموح أي شيء في الدنيا: المال.. البنون.. مركز اجتماعي.. سلطة.. زعامة.. إلخ. لأن الدنيا في نظره ظل زائل فان، والمهم عنده الوصول إلى الشيء الباقي الخالد وهو الآخرة، وفي سبيل الآخرة يضحي بكل شيء: المال.. الأولاد.. النفس.. كل شيء.. كل شيء.

إن رجل الآخرة يعمل في سبيل الله، وليس لأية مصلحة دنيوية، فهو يخوض معترك الحياة الاجتماعية، ويعمل من أجل بناء مجتمع سعيد، ويكد ويجتهد بالعبادة والعمل الصالح دون أن يهدف الوصول إلى أية مكاسب مادي.

﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ * ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ *﴾[1].

بل ولا يهدفون إلى مكاسب معنوية في الدنيا، كالشهرة والرئاسة وما أشبه ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2].

(1) سورة يس، الآيتان: ٢٠، ٢١.
(2) سورة القصص، الآية: ٨٣.

إن هدف الأنبياء ومن يسير في طريقهم ليس هو الحصول على مكاسب مادية أو معنوية في الدنيا، لأنها أقل من طموحهم الكبير، وإنما يهدفون أمراً أكبر من ذلك، وهو: رضوان الله في الآخرة.

إنهم في الحقيقة لا يضحون بشيء من الدنيا بدون ثمن.. ولكن مقابل ثمن هائل جداً وهو: الجنة، فهم إذن يبيعون الدنيا بالآخرة، وهي صفقة رابحة حتماً: البائع فيها هو الإنسان، والمشتري هو الله، والبضاعة هي: الدنيا، والثمن هو الجنة.

إنها أغلى صفقة يعقدها الإنسان في حياته على الإطلاق!

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١).

هذا رجل الآخرة، أما رجل الدنيا فإنه يعقد صفقة معكوسة، فيبيع الآخرة والنعيم.. وجنة عرضها السماوات

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

والأرض، مقابل شيء قليل من متاع الحياة الدنيا.. الذي سرعان ما ينتهي بموت الإنسان.

إن رجل الآخرة حسب التعبير الشعبي «بايع مخلص» ومثل هذا البائع مستعد دائماً للفداء والتضحية في سبيل الله، إنه في أقصى حالات التأهب، ليس فقط في ظروف الحرب والمعركة، وإنما في كل الحالات وجميع الأوقات، ولأنه كذلك فهو مستعد لأن يبذل كل شيء: المال والنفس والأولاد.. في سبيل الله!

وعندما يبذل هذه الأشياء التي يملكها لا يتأسف، ولا يتحسر، بل هو في أقصى درجات السعادة والسرور، لأنه عندما يضحي بماله، لا يتصور بأنه خسر هذا المال، وإنما يؤمن بأنه ربح هذا المال، لأنه وضعه في ديوان الله الذي لا يضيع فيه شيء.. وسيربح في مقابله ثواباً عظيماً في الآخرة.

وعندما يضحي بأولاده في سبيل الله، لا يشعر بأنه خسرهم، لأن الموت لا يعني سوى الانتقال إلى العالم الآخر، وسيثاب على هذه المصيبة ثواباً هائلاً يوم القيامة، وعندما يضحي بنفسه لا يعتقد بأنه يخسر حياته، إنما هو يؤمن

إيماناً راسخاً بأنه بذلك يربح حياته الأبدية، لأنه يشتري بهذا الجسد الفاني حياة أبدية خالدة في الجنة الخالدة.

إن الإمام الحسين عليه السلام الذي تعرض لأقسى أنواع المصائب في يوم عاشوراء، وقدم في سبيل الله كل ما لديه من مال وبنين.. وأرواح طيبة طاهرة من أهل بيته، وأخيراً جاد بروحه الطيبة، لم يكن يتأسف على هذا القربان الذي قدمه في سبيل الله، إنما كان في أقصى درجات السعادة والسرور.

يشرح لنا ابنه الإمام زين العابدين عليه السلام موقف والده في يوم عاشوراء قائلاً:

كان من خصائص الإمام الحسين عليه السلام وبعض أهل بيت عليهم السلام تشرق ألوانهم، وتهدئ جوارحهم، وتسكن نفوسهم.

فقال بعضهم لبعض: **أنظروا لا يبالي بالموت؟.**

فقال لهم الإمام الحسين عليه السلام: **صبراً بني الكرام، فما الموت إلا قنطرة يعبر بكم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم!**[1].

---

(١) البحار، ج٦، ص ١٥٤، باب ٦.

هذا هو منطق رجال الآخرة: ما الموت إلا قنطرة نحو الجنان الواسعة إذن فلا خوف ولا اضطراب، بل شوق وطمأنينة، إنهم ينتظرون بلهفة نداء الله لهم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝﴾(1).

إن الموت أحلى من العسل عندما يكون في سبيل الله، لأنه سيكون في مقابل ثمن عظيم.. خصوصاً وأن الحياة الدنيا ليست بباقية لأحد.

فلكي نكون من رجال الآخرة حقاً، لا بد أن نحب الله تعالى أكثر من أي شيء آخر.

أما إذا أحببنا الأموال والأولاد ومتاع الحياة الدنيا، فنحن من رجال الدنيا، ولسنا من رجال الآخرة.

يقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(2).

والآن من هو السعيد؟ الذي يضع روحه على كفه ويقدمها

(1) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧ - ٢٨.
(2) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

بسخاء في سبيل الله؟ أم الذي يتحسر على أقل شيء فاته من متاع الحياة الدنيا؟

من هو الرابح؟ رجل الدنيا الذي يخسر الآخرة نهائياً؟ أم رجل الآخرة الذي يربح الدنيا والآخرة معاً؟

يقول الإمام الحسين عليه السلام:

يا معشر الشباب، عليكم بطلب الآخرة، فقد والله رأينا أقواماً طلبوا الآخرة فأصابوا الدنيا والآخرة، ووالله ما رأينا من طلب الدنيا فأصاب الآخرة.

ويقول لقمان مخاطباً ابنه:

يا بني، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً.

إذن: فلنختر الآخرة.. لكي نربح الدنيا والآخرة، ونعيش سعداء في الآخرة، أبد الآبدين.

* * *

والسؤال هنا: هل يمكن أن نحب الدنيا والآخرة معاً؟

والجواب: لا.. إن حب الدنيا لا يمكن أن يجتمع مع حب الآخرة.. لأن حب الدنيا ينتهي إلى عبادة الدنيا، وهذا

يتناقض مع حب الآخرة، الذي يستدعي بالضرورة عبادة الله وحده.

ولكن: هل هذا يعني أن نترك العمل والكسب وطلب الرزق الحلال.. أم يتطلب منا أن نهجر جميع ملذات الحياة، من الزواج والأولاد.. إلخ.

أم يستدعي أن لا نأكل الطيبات، ونهجر الراحة.. إلخ.

والجواب: كلا، كلا.

إن الله لم يحرم الطيبات من الرزق على المؤمنين، بل إنه خلقها للمؤمنين أساساً.. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾[1] بل حرم الخبائث فقط.

ولم يحرم الزواج، والتمتع بالأولاد والأموال وجمال الطبيعة، وغير ذلك.. بل حرم الفواحش والإثم.. فقط.

إنما دعا الله عباده أن لا يتبعوا خطوات الشيطان وأن لا يسيروا وراء أهوائهم.. ولا يستسلموا لشهواتهم، ولغرائزهم الحيوانية بلا حساب.. وأن لا يظلموا أحداً ولا يتعدوا على

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

أحد.. وأن لا يأكلوا أموالهم بالباطل أو يسرقوا، أو يغشوا أو يخدعوا ويقتلوا أحداً ظلماً من أجل نزوة، أو انتقام، أو سلطة، أو سرقة، أو منافسة، أو ما أشبه.

وبكلمة: أن الذي يجعل (الآخرة) همه لا يقترف هذه الموبقات لأنها تجلب غضب الله، ومن غضب عليه الله حرم عليه الجنة وأدخله إلى جهنم.. وبئس المصير.

بل إن المؤمنين يعيشون في الحياة متمتعين بلذاتها المشروعة أكثر مما يتمتع بها الملحدون والفاسقون والكفرة.. إن ظاهر الفاسقين هو السعادة، أما باطنهم فخراب، فالذي لا يبحث عن لذة الجنس في الحرام، بل في زوجته المشروعة أكثر اطمئناناً واستمتاعاً، وهناءً ممن يبحث عن أعراض الناس بالحرام؟ ومن يأكل الطيبات يلتذ أكثر ممن يأكل الخبائث، ومن يكتفي برزقه أكثر راحة ممن يبحث عن المال الحرام. واللقمة المحرمة؟!

إن المؤمنين يأكلون الدنيا بأفضل مما يأكله الفاسقون بألف مرة.. يأكلون.. ويتزوجون.. ويستولدون.. ويعبدون ربهم في راحة وأمان ﴿... بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾(١).

---

(١) سورة سبأ، الآية: ١٥.

أما الكافرون والفاسقون فيأكلون الحرام، وينكحون الحرام، ويجمعون المال الحرام في سبيل ذلك يسرقون ويقتلون ويظلمون، وهم في صراع دائم مع وجدانهم، وشقاق حاد مع ربهم وخالقهم.. ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(١).

فأي واحد من الصنفين نريد أن نكون؟! ممن يربح الدنيا والآخرة معاً. أم ممن يخسر الدنيا والآخرة معاً.. أو ممن يتمتع بالدنيا أياماً قليلة كما تتمتع الحيوانات، ثم يضطر إلى عذاب غليظ؟!.. فكروا وانتخبوا طريقكم من الآن قبل فوات الأوان. (**اللهم بلغ بإيماننا أفضل الإيمان.. وبنياتنا أفضل النيات، ووفقنا لأفضل الأعمال.. واقلبنا إليك مفلحين منجحين واحشرنا مع عبادك الصالحين فإنك أرحم الراحمين**).

السيد عباس
بن السيد محمد كاظم المدرسي

* * *

(١) سورة محمد، الآية: ١٢.

الفهرس